بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب:
قبيلة العوامر بين الماضي والحاضر

المؤلف:
خالد صالح موسى ملكاوي

سنة النشر:
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

الرقم الدولي: ISBN 978-9948-20-321-6

التصنيف:
دراسات تاريخية وأدبية

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تمت الطباعة والنشر بناء على موافقة المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة برقم: ١٥٨١٣ بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٤، إذن التداول رقم ٣٤٧٩٤ بتاريخ ٩/ ٣/ ٢١٠٥م.

قبيلة العوامر

بين الماضي والحاضر

المحتويات

محتويات الكتاب

المقدمة

حفل تاريخنا العربي في مراحله المختلفة بنصيب وافر مما شكلته بنو عامر بن صعصعة من قبائل قيس عيلان العدنانية، وزخر بالأدوار الهامة والمؤثرة التي أسهمت في رسم تاريخ الجزيرة العربية، بل وفي مناطق أخرى خارجها، فهم عاشوا في نجد منذ الجاهلية، وأقاموا عبر قرون عدة كيانات لهم في معظم بواديها وحواضرها وسواحلها، وكان لهم فعلهم المؤثر في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

فثمة الكثير من قبائل بني عامر مثل بني عقيل، وبني كلاب، وبني جعدة، وبني عصفور، وقبائل رؤيبة، وغيرها من القبائل العامرية التي حكمت أو عاشت في الجزيرة العربية، وكانت لها إمرة العرب في بعض مراحل تاريخ المنطقة، بل وامتد حكمها إلى بلاد البحرين، والعراق والشام، حيث وُصفوا بأنهم ورثوا مواطن العرب في كل جهة.

وامتد أثر قبائل بني عامر وفعلها إلى الجنوب من نجد، لا سيما في إقليم «عمان»، وبعد أن أصبحت هذه القبائل مكوناً هاماً من نسيج المجتمعات التي كانت تعيش في تلك المناطق، أخذت أدوارها وسجَّلت آثارها لتغدو من القوى الفاعلة في تاريخ مشيخات الساحل العماني، وحرص العوامر من أبناء هذه القبائل على انخراطهم بالأحداث المتصلة بمختلف التطورات التي شهدتها المنطقة، كما أكدوا التزامهم وتضحياتهم مع شيوخ المنطقة الذين قادوا تدريجياً قيام الدولة.

إن هذا الكتاب تُكرَّس فيه جهودي البحثية لإبراز الصورة المميزة لقبيلة العوامر في تاريخ الإمارات بعيداً عن الخوض في تفاصيل النسب، رغم إدراكنا لأهمية علم النسب الذي واكب

تاريخنا العربي، واحتل مكانة بين ما حثَّنا عليه ديننا الحنيف، فغدا علم النسب من العلوم الإسلامية المهمة التي لم تفقد أهميتها على مر القرون، فلولا ما حمله إلينا الإسلام من دعوة للاهتمام بعلم النسب، وما استفاد منه علماء النسب في ذلك كي يرتقوا بهذا العلم، فيبحثوا ويمحّصوا ويوثّقوا ويدوّنوا ذلك في مؤلفات نسَّبت أصول قبائل أمتنا، وثبَّتت وشائج القربى والتصاهر بينها، لما كان بإمكاننا اليوم أن نجتهد في وضع مثل كتابنا هذا بين يدي المهتمين والمعنيين.

وفي هذا الكتاب عرض موضوعي استُمِدَّت معلوماته من جملة من المصادر التي تحدثت عن بطون بني عامر بن صعصعة، وعن تاريخ هذه البطون، وعن أبرز شخصياتها من شيوخ القبائل والفرسان والشعراء والفقهاء والأدباء، وعن أمجاد هذه البطون ومختلف الكيانات السياسية التي أقامتها في الجزيرة العربية وخارج حدودها، كما استُمِدَّت معلوماته من معظم المراجع التي تحدثت عن امتداد تلك البطون إلى مناطق إقليم عمان الذي عرف تاريخياً بهذا الإسم ويشمل حالياً سلطنة عمان، بالإضافة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة التي بات العوامر فيها مكوّناً أساساً من مكونات نسيجها المجتمعي، وقوة من القوى الفاعلة في تاريخها، وعنصراً بارزاً في تشكيل الخريطة القبلية لها بعامة ولإمارة أبوظبي فيها بخاصة.

يضم الكتاب خمسة فصول، يتعرض الفصل الأول للحديث تاريخياً عن قبائل عامر بن صعصعة، كي يساعد على سهولة الربط بين تلك القبائل وامتداداتها من القبائل الحية اليوم، والتي على رأسها قبيلة العوامر في الإمارات، موضوع كتابنا الرئيس، فيوفر إيجاز هذا الفصل مدخلاً تاريخياً يعرض لأهم القبائل العامرية التي انحدرت من عامر بن صعصعة، وانطلقت بين أرجاء الجزيرة العربية في عهد الدولة الإسلامية وقبيلها، فيبين أهم أمجادها وآثارها، من

مختلف الكيانات السياسية التي أقامتها هذه القبائل عبر قرون طويلة في البلدان العربية.

ويعرض الفصل كذلك لأهم بطون العوامر في البلدان العربية، فيذكر هذه البطون في عمان، ويبين أهمها في شمال أفريقيا؛ في مصر، وبلاد المغرب العربي، ويبين بطون العوامر في كل من الصومال والسودان في الشرق الأفريقي، كما يأتي على ذكر البطون العامرية في بلاد الأندلس.

وقبل ذلك يمهد الفصل في بدايته بالتعريف بمصاهرات بني عامر بن صعصعة وقريش، ويذكر أسماء بعض أعلام بني عامر بن صعصعة من الفقهاء والخطباء والشعراء الذين صارت سيرهم وتاريخهم جزءا هاما من مكونات تراثنا العربي، وحفظ لهم تاريخنا العربي الكثير من أدوارهم وآثارهم السياسية والعسكرية والدينية والأدبية.

وفي الفصل الثاني يتم التطرق لواقع الروح القبلية ودورها في مجتمع الإمارات، فيأتي على أهمية القبلية لدى القبائل العربية التي تشكل النسيج الأساس لمجتمع الإمارات، ولمدى تمسك أبناء هذه القبائل بقبليتهم دون إغلاق الباب بوجه متطلبات عملية التحديث، بحيث مكَّنت ثقافة القبيلة أهلها من التكيف مع كل تطور جديد واستيعابه وتقبُّله.

وبالإضافة إلى ما يؤكد عليه هذا الفصل بأن القبيلة في شبه الجزيرة العربية تمثل رابطة إيجابية، تمنح القوة والتماسك الاجتماعي، وأن الولاءات القبلية تعتبر أكثر الولاءات التقليدية رسوخاً وتأثيراً في مجمل حياة أهل الإمارات، فهو يعرض إلى تقسيمات التركيبة السكانية العربية لمجتمع الإمارات الأصلي في مرحلة ما قبل النفط، ليبين أن قبائل هذه التركيبة تنتمي إلى قبائل عربية هاجرت من مواطنها الأصلية قبل آلاف السنين، وامتزجت واختلطت بها قبائل عربية أخرى انحدرت من عمان وأرض نجد لتسكن أرض الإمارات وتصبح جزءاً من هذه التركيبة

السكانية العربية لمجتمع الإمارات الأصلي.

ويتعرض الفصل في بدايته إلى أهمية علم الأنساب وتطور الحاجة إليه، وتطور الاهتمام به كعلم قائم بذاته، سيما وأن الإسلام يحثُّ على تعلم علم النسب، كونه يحقق صلة الرحم، إلى جانب ما لعلم النسب من منافع وأدوار متنوعة، وما يقود إليه من الاطمئنان إلى أصول وسلامة الجذور ليزيد من ارتباط الفرد بجماعته، ويعزز التمسك بقيم الأمة النبيلة وأعراقها الأصيلة.

ثم يعرض الفصل إلى إمارة أبوظبي وأنماط حياة سكانها، وتواجد آل بوفلاح فيها، لا سيما حول واحة ليوا بمنطقة الظفرة، وقيادة هذه القبيلة الحاكمة لقبائل بني ياس التي شكلت إحدى أكثر القبائل اندماجاً وتضامناً وقوةً في ساحل عُمان المتصالح، وأهم قبائل الإمارات وأشدها قوة ونفوذاً، وأغزرها عدداً.

وأما الفصل الثالث فيستعرض تاريخ العوامر في الإمارات وأدوارهم وعلاقاتهم مع غيرهم من القبائل وعلى رأسها قبيلة بني ياس التي تميزت علاقة العوامر بها بعلاقات المودة التقليدية، وغدت لزعامات العوامر خصوصية في مكانتهم لدى حكام آل نهيان، وصار للقبيلة تاريخها العريق ودورها الفاعل في تاريخ المنطقة، فهي إلى جانب كثرة امتداداتها فإنها قبيلة ذات بأس وقوة، يشتهر رجالها بالشجاعة وحب القتال. كما يستعرض الفصل حجم العوامر وطبيعة أعمالهم، ليبين أن القبيلة عرفت بكثرة عددها نسبة إلى قبائل الجزيرة العربية، وهي في غالبيتها من البدو، مما ميَّزها بكثرة التنقل والترحال. ويتتبع الفصل أماكن تنقُّل العوامر، عبر عقود طويلة، إذ قادهم نمط حياتهم البدوية إلى المرور بمساحات واسعة من مناطق الجزيرة العربية، حيث جاءوا من نجد إلى مناطق إمارة أبوظبي، وشهدت المنطقة المعروفة قديماً بمنطقة عمان، تنقُّل قبائل العوامر ما بين أراضيها

بحثاً عن أسباب الحياة من الكلأ والماء، فكانوا يتنقلون في ما بين جهات الربع الخالي وواحة البريمي، وقد يصل بعضهم إلى سهول الظاهرة في عمان، أو يتجه غرباً فيصل المجن والأحساء. ثم يأتي الفصل إلى ذكر أفخاذ العوامر وبطونهم في الإمارات، فيبين أن القبيلة تنقسم إلى فخذين كبيرين هما: فخذ بدر، وفخذ لز. ويفصّل أهم بطون وتفرعات كل من هذين الفخذين. ورغم أن العوامر يتوزعون في عدد من دول المنطقة، إلا أنه في هذا الفصل يتم ذكر عوامر عُمان، بحكم ما كان من تداخل تاريخي ما بين سكان مناطق ساحل عُمان، فيذكر أسماء أهم تفرعات العوامر في عمان وأهم المناطق التي سكنوها.

ولأن العوامر في عمان عُرف عنهم تخصصهم بالأفلاج وبراعتهم في هندستها وتنفيذها، فإن الفصل يعرض لدور العوامر في أفلاج العين وأثرها التنموي وبعدها التاريخي، حين استعان بهم المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيَّب الله ثراه» بعد وصوله العين حاكماً لها، فقرَّبهم منه، وتابعهم حتى أنهوا ما كلَّفهم به بمهارة هندسية وعبقرية فائقة، وغدت الأفلاج حينها جذوة لمشروع حضاري جديد، حقق العدالة الاجتماعية، وأظهر بين الأهالي كل صفات التلاحم والتعاون والتكافل الاجتماعي، فخلق تجربة اجتماعية وتاريخية لا تنسى، وهي التي ساهمت مؤخراً في إدراج مدينة العين في قائمة التراث العالمي الإنساني لمنظمة اليونسكو.

ويختم الفصل بالحديث عن علاقة العوامر بآل بوفلاح وببني ياس، فيبين ما مثَّله العوامر من حلفاء تقليديين لبني ياس، وكيف التقت تقارير كل الذين كتبوا عن هذه العلاقة حول أن العوامر من جند آل بوفلاح المتميزين بصدق الولاء والإخلاص، وأنه يُسجَّل لهم تاريخياً ولاؤهم المطلق لشيوخ آل بوفلاح، إذ يعود ارتباط العوامر بآل بوفلاح إلى قرون خلت، ويعرض الفصل إلى حب المغفور له الشيخ زايد للعوامر لأنهم عاشوا معه سنوات طيلة، وعايشوا رحلة نهضته

المشهودة في واحة البريمي، فأحبهم وأحب شعراءهم وشيوخهم، وعلى رأسهم تميمة العوامر الشيخ سالم بن حم الذي كان أحد أصدقاء زايد الشخصيين والقريبين منه.

ويتصل الفصل الرابع بما ختم به الفصل السابق، إذ يختص بالحديث عن الشيخ سالم بن حم الذي كان من حكماء القوم وعقلائهم بين شيوخ البدو وزعماء القبائل، ومن أهل الدراية بالأعراف القبلية والعادات والتقاليد، فاختاره الشيخ زايد «طيب الله ثراه»، ليكون من البطانة الصالحة التي أحاطت به، وليغدو من أقرب مستشاريه ورفاق مسيرته.

ويتعرض الفصل لطفولة بن حم وظروف نشأته، حيث توفي والده وهو لم يزل طفلاً، فتعهدته والدته في ظل ظروف بيئية ومعيشية صعبة حتى شبَّ صلباً ذا عزيمة فتزوج وأنجب، وصار أحد رجالات الإمارات المخلصين، ومن رفاق زايد الأوفياء. ويعرض الفصل صوراً من رفقة بن حم بالشيخ زايد، ويقتطف بعضاً مما قالوا في صفات بن حم ومواقفه النبيلة ومسيرته الوطنية، ثم يعرض لُمعاً مما اختزنته ذاكرة بن حم من إضاءات تؤرخ للإنسان والحضارة في ما زرع الشيخ زايد في عمر الوطن.

ولأن الشعر من المأثورات الشعبية الهامة، وهو دليل إبداعي ثقافي للمجتمع البدوي في حقب تاريخية متعددة، وهو واحد من المصادر التاريخية الهامة، ولأن الشاعر كان سفير قومه وداعيتهم ومعلمهم، وصحافيهم، والمدافع عنهم بسلاح الكلمة في حلبته الخاصة، فكان حري بنا أن نقرأ بعضا من صفحات تاريخ بني عامر عبر ما جادت به قرائح شعرائهم، فنتنزه بين أشعار بعضهم للتعرف على ما زخرت به ذاكرتهم الشعرية في إبداعات يندرج بعضها في روائع الأدب العربي القديم، ويرقى في مستواه إلى الأعمال الخالدة التي تشكل جزءا من الإبداع الإنساني.

وقد اخترنا نماذج معدودة من من نوابغ الشعر وعمالقته الذين أغنت بهم بنو عامر الشعر العربي، بحيث مثلوا أكثر من عصر، وانتقينا من أشعارهم اليسير مما يجسد الشعر العربي بمختلف أغراضه، كالمدح، والفخر، والرثاء، ووصف الحروب وبطولاتها، وبث الحماس عند القتال، والغزل... فكان الفصل الأخير من الكتاب لهذا الغرض، إذ تضمن مقتطفات من حياة وإبداعات كل من لبيد بن ربيعة، والنّابِغَة الجَعدِيّ، وعامِر بن الطُّفَيل، وقيس بن الملوَّح.

هذا ما اجتهدت به لأضعه بين دفتي هذا الكتاب، طمعاً بأجر المصيب، قبل أجر المجتهد، آملاً أن أكون قد قمت بما يخدم تراثنا وتاريخنا العربيين الإسلاميين، مستمداً من المولى عز وجل العون والتوفيق.

وهو حسبنا، نعم المولى ونعم النصير.

خالد صالح موسى ملكاوي

أبوظبي – في العاشر من ربيع الأول ١٤٣٦هـ

الموافق ١ يناير / كانون الثاني ٢٠١٥م

الفصل الأول

لمحات تاريخية عن العوامر

لمحات تاريخية عن العوامر

ليس ثمة اختلاف في أن القبيلة تشكل أساس التجمعات الإنسانية، لا سيما لدينا نحن العرب، ومن المُسَلَّم به أن سيرورة كل قبيلة عربية هي جزء من حلقات تاريخ الأمة العربية وتراثها القديم، إذ يشكل تاريخ كل قبيلة ومجدها جزءاً من تراث أمتنا ومجدها، فقد اجتمع العرب في الماضي البعيد تحت راية القبيلة كنمط اجتماعي، منح لمجموعته المحلية هوية شخصية تشعرهم بكيان مجموعتهم كشعب وأمة متماسكة مترابطة الجذور متضامنة مع نفسها متآزرة في السراء والضراء، وكانت القبيلة بمثابة حكومة لها كيانها الخاص تدير أمورها وتسيّر حياة أبنائها، فتقيم التحالفات وتعقد الصفقات وتتصدى للنزاعات لتحفظ كيانها وتؤمن وجودها، وهكذا كانت صفحات تاريخنا تتشكل مع كل قبيلة وفي كل حقبة.

ولقد برز في العصور الماضية القديمة والقريبة عدد من القبائل العربية العظيمة ذات الشأن والمنعة، التي حفظ لها التاريخ صفحات خاصة، إذ تعاقبت على أخذ مقاليد السيادة والقيادة بين قبائل العرب الأخرى، من هذه القبائل بنو عامر المتحدرة من عامر بن صعصعة، والتي كانت كلها في نجد، وكان لها شأن ونفوذ، ليس في جزيرة العرب فحسب، وإنما خارج المنطقة في العراق والشام، فحكموا وتنفَّذوا في البصرة وفي الموصل وحلب وغيرها، إلى جانب حكمهم في نجد والبحرين في الجزيرة العربية، حتى وصفهم بعض المؤرخين بأنهم ورثوا مواطن العرب في كل جهة.

فبنو عامر بن صعصعة هم مجموعة كبيرة من القبائل العدنانية، التي ينتهي نسبها إلى قبيلة هوازن القيسية المضرية، كانت منازلهم الأصلية قديماً مناطق الرماح ورنية والخرمة وبيشة على حدود نجد الجنوبية مع الحجاز، وانتشرت فروعهم في نواحي نجد وإقليم البحرين والعراق

وعُمان، كما وصلت قبائل منهم إلى شمال أفريقيا وشرقها، وإلى الأندلس.

وعامر بن صعصة هو ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وأبناؤه هم ربيعة، وفيه البيت والعدد، وهلال، ونمير، وسواءة، ومنهم أتت مختلف قبائل بني عامر. ومن أهم فروع بني عامر بن صعصعة بنو كلاب، وبنو كعب، وبنو نمير، وبنو هلال، بالإضافة إلى قشير وغيرها، وقد سادت كلاب وكعب ونمير على نجد في صدر الإسلام.

وارتبط بنو عامر بن صعصعه بعلاقات مصاهرة قوية مع قريش، كان أشرفها زواج النبي محمد «صلى الله عليه وسلم» من عدد من النساء العامريات، كما أنجبت هذه القبيلة العديد من الصحابة ورواة الحديث الشريف، والعشرات من نوابغ الشعر، ورفدت أمتنا العربية وأغنت تاريخنا بالكثير من الأشراف والفرسان والزعماء الذين أقاموا الإمارات والدول العامرية على مدى قرون طويلة، ووحّدوا القبائل والأقاليم العربية، وتصدوا للطامعين والغزاة من الأقوام الأخرى.

مصاهرات بني عامر بن صعصعة وقريش

كان من بني عامر بن صعصعة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، كما ارتبط بنو عامر بن صعصعة بعلاقات مصاهرة قوية وواسعة مع قريش، وكان أهم هذه العلاقات وأشرفها زواج نبي الله محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من عدد من النساء العامريات، حيث ارتبط «صلى الله عليه وسلم» بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي المساة «أم المساكين»[1]، وبأم المؤمنين ميمونة بنت

الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة[٢]، وزعم بعضهم أن أم المؤمنين ميمونة أخت لأم المساكين لأمها هند بنت عوف بن زهير الحميري[٣]، كما ارتبط «صلى الله عليه وسلم» بالعالية بنت ظبيان الكلابية العامرية التي تزوجها ثم طلقها[٤]، وبعمرة بنت يزيد الكلابية العامرية، وطلقها «صلى الله عليه وسلم» قبل أن يدخل بها.[٥]

وبنو عامر بن صعصعة هم أخوال لعدة رجال من كبار قريش ومشاهيرهم ومن كبار الصحابة؛ فزوجة علي بن أبي طالب أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٦]، وأم عبد الله بن عباس لبابة الكبرى (أم الفضل) بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة زوج العباس بن عبد المطلب[٧]، وهي الأخت الشقيقة لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن[٨]، وخالد بن الوليد أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن العامرية، وتلقب بالعصماء[٩]، وزعيم قريش أبو سفيان أمه صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة.[١٠]

من أعلام بني عامر بن صعصعة

يحفل تاريخ بني عامر بن صعصعة بالكثير من أسماء الرجالات العظام والأعلام الأفذاذ، برزوا منذ الجاهلية وحتى عصور متأخرة، وقد يكون من الصعب استعراض الأسماء كافة، ويمثل الفقهاء ورواة الحديث منهم إثراء للضالعين في هذا المجال من الأمة، فثمة العديد من رواة الأحاديث الشريفة، ونذكر بعضهم، مثل أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير بن هلال

العامري، من أهل الكوفة، وكان مرجعاً ثبتاً في الحديث، وكان يسمى بالمصحف، لقلة خطئه وحفظه، وعباس بن علقمة العامري، ويكنى أبا عبدالله، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وقبيصة بن الكوفي العامري، من بني سواءة بن عامر بن صعصعة، سمع الثوري وغيره، روى عنه البخاري ومحمد بن أسلم وجماعة.[١١]

كما أن من فقهاء بني عامر بن صعصعة وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي من بني عبيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة، صحابي فقيه وحكيم[١٢]، وكان من أول طبقة من المفسرين في عصر الدولة العباسية، إذ لم يُدوَّن التفسير في كتب جامعة لسور القرآن الكريم كلها قبل ذلك[١٣]، ومن الفقهاء العامريين الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري[١٤]، صاحب الصحيح.

ومن خطبائهم عامر بن الطفيل، الفارس الفتاك، وهو من أشهر فرسان العرب نجدة، وأحد شعراء قومه وساداتهم في الجاهلية، وعلقمة بن علاثة، وخالد بن جعفر، أحد سادات بني عامر، وكان الثلاثة من الخطباء الذين أوفدهم النعمان بن المنذر على كسرى[١٥]، ومن أعلام العوامر شيخ الكتَّاب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وهو شيخ الكتاب الأوائل، والأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل.[١٦]

ومن شعرائهم لبيد بن ربيعة العامري، من أهل عالية نجد، وأحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية والإسلام[١٧]، والنّابغة الجَعدِيّ مادح النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد شعراء المعلقات، وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام[١٨]، ويعد من وصَّافي الخيل المشهورين[١٩]، وقيس بن الملوح (مجنون ليلى) الذي ينتمي إلى العصر الأموي حيث ازدهر الغزل فيه، فكان شاعر غزل، من المتيمين، ولم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت مهدي بن سعد بن ربيعة التي نشأ معها.[٢٠]

ومن شاعرات بني عامر بن صعصعة ضُباعة القُشيرية، شاعرة صحابية، كانت في صباها من أجمل نساء العرب وأعظمهن خلقاً، أسلمت بمكة في أوائل ظهور الدعوة، وساندت النبي «صلى الله عليه وسلم»[٢١]، ولبابة بنت الحارث الصغرى[٢٢]، وأختها لبابة الكبرى، وتُكنى أم الفضل[٢٣]، وليلى الأخيلية، وكانت شاعرة فصيحة ذكية جميلة، من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام[٢٤]، وليلى العامرية، وكانت ذات جمال وأدب وعقل، أحبها قيس بن الملوح، وحجبت عنه، وامتنع أبوها عن زواجها به.[٢٥]

العوامر وإماراتهم في البلدان العربية

زخر تاريخنا العربي في القرون الماضية بقيام أكثر من كيان سياسي لقبائل بني عامر بن صعصعة في أكثر من منطقة عربية، حيث امتدت هذه الكيانات التي شهدت حكم العوامر ونفوذهم وسلطانهم منذ القرن الرابع الهجري وحتى القرن العاشر الهجري؛ فقد أقام بنو خفاجة إمارتهم في الكوفة منذ نهايات القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس الهجريين، وساد العقيليون في حلب والموصل ونصيبين في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وبنى بنو مرداس من بني كلاب إمارتهم في حلب في القرن الخامس الهجري، وفي القرنين السابع والثامن الهجريين عاشت إمارة العصفوريين في البحرين، وملك بنو المنتفق في البصرة منذ نهايات القرن الثامن وحتى منتصف القرن العاشر الهجريين، وأسهموا في قيام أكبر وأقوى اتحاد للقبائل في العراق، أطلق عليه بعض الكتاب المعاصرين لقب «أول مشيخة فيدرالية»، وآنذاك قامت دولة الجبريين في البحرين والأحساء والقطيف وظفار وأجزاء من نجد في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية، وقد سماها البعض «الدولة العربية الخليجية الموحَّدة»، وهي التي كانت أول

المقاومين للاستعمار البرتغالي في منطقة الخليج العربي.

ففي القرن الخامس الهجري كان للعوامر إمارة لهم في حلب، وكانت لآل مرداس من قبائل كلاب بن ربيعة من بطون بني عامر بن صعصعة، وقد أسسها صالح بن مرداس الكلابي الملقب ب «أسد الدولة» سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م، واستمرت حتى ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م، وتوسعت وازدهرت معها مختلف مجالات الحياة، وواقع حكام الإمارة الروم وهزموهم(٢٦)، وأعادوا الحراك الأدبي لما كان عليه من تألق في عهد سيف الدولة.(٢٧) ولم يكن نفوذ العوامر وسلطتهم يقتصر على شمال سوريا فحسب، بل وفي جنوب سوريا ملك بنو عقيل دمشق سنة ٣٦٣هـ، بعد أن استولوا عليها من القرامطة(٢٨)، وكانوا بحوران والبثنية كذلك.(٢٩)

وفي الموصل والجزيرة بدأت دولة بني عقيل العامرية في حدود سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، وكان أساسها بنو مالك وبنو عبادة من بطون عقيل، وبلغت الدولة أوج سلطتها في عهد مسلم بن قرواش، وامتدت أطراف دولته من بغداد شرقاً حتى حلب غرباً، واستمرت دولتهم ما يزيد على قرن ونصف القرن، حيث سقطت سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، فانتقلوا بعدها إلى الجزيرة، كما قامت لهم فروع أخرى حكمت في العراق وديار مضر، واستمر فرعهم في الرقة وقلعة جعبر حتى مقدم الزنكيين. وبعد أن فقدوا كل أملاكهم في العراق والشام نزح العقيليون إلى الجنوب، ثم استقروا في اليمامة، ومن نسلهم كان بنو عصفور (حكام البحرين).(٣٠)

وفي العراق أيضاً اشتهر بنو المنتفق، وقد عرفوا باسم أبيهم المنتفق بن معاوية بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وهم بطن من عامر بن صعصعة استوطنوا جنوب العراق حول البصرة، حيث دخلوا العراق مع الفتوحات الإسلامية واستقروا في منطقة آجام القصب بين البصرة والكوفة.(٣١)

وارتبط اسم المنتفق تاريخياً بكيانات مختلفة، أولها قبيلة المنتفق السالفة الذكر، وبعد ذلك اتحاد قبائل المنتفق، إذ شكل وجود بني المنتفق في العراق والأحداث التي مروا بها على مدى قرون نواة لقيام اتحاد المنتفق، وهي قبائل عربية مختلفة الأصول اتحدت عام ١٥٣٠م، وعرفت بالمتفق، ثم عرفت لاحقا بقبائل المنتفق، وظلت محط أنظار الوافدين من الجزيرة العربية ليسهموا في بناء أكبر إمارة عربية في مناطق وسط وجنوب العراق، عرفت لدى الكتاب المتأخرين بإمارة المنتفق، ولعبت هذه الدولة وقبائلها، دوراً مهماً في تاريخ العراق، حيث كانت بينها وحدة عظيمة، وكانت هي اللاعب الرئيس في تاريخ العراق ولمعظم أحداثه. فاحتل تاريخ المنتفق مكانة مهمة في حياة العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأضحت المنطقة التي تشكل فيها ذلك التاريخ من المناطق المهمة والرئيسة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر.[٣٢]

وفي منطقة نجد موئل العامريين الذين سادوا فيها لقرون طويلة من تاريخنا العربي، حكمت القبائل المتحدرة من عامر بن صعصعة عهوداً من الزمن، وأقامت في الأقاليم المجاورة دويلاتها وإماراتها التي وصلت شهرة بعضها إلى بلاد الهند والشمال الأفريقي، فتداعى حكام تلك البلاد إلى إقامة أحسن العلاقات معهم[٣٣].

ونجد هي مَواطن بني عدنان، إذ لم يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجد أحد من قحطان إلا طي من كهلان فيما بين سلمى وأجا. وتحدد نجد كنطاق جغرافي بالعراق شمالاً، والحجاز غرباً، وصحراء الربع الخالي جنوباً، وشرق الجزيرة العربية (ما كان يعرف ببلاد البحرين) شرقاً[٣٤]، فهي الجزء من الجزيرة العربية الممتد بين الحجاز والعراق[٣٥]. وقد كان للعوامر من قبائل قيس عيلان نصيب وافر ومهم في تاريخ نجد، فقد عاشوا فيها منذ الجاهلية، واستمر تواجدهم في معظم مناطقها، وأقاموا عبر قرون مضت دولهم وإماراتهم في معظم

بواديها، وكانت لهم أدوارهم المؤثرة في تاريخها سياسياً واقتصادياً وعلمياً وثقافياً، ومنها انطلقوا إلى مناطق أخرى داخل حدود شبه الجزيرة العربية أو خارجها ليحكموا هناك، أو يعززوا سبل التجارة والتواصل مع المجتمعات الأخرى شرقاً وغرباً.

ونجد بالنسبة لأهلها كانت مهوى أفئدتهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وموطن النخوة والإباء، على حد وصف المستشرق الإنجليزي ويلفرد رنت الذي زار المنطقة في القرن الثالث عشر الهجري[٣٦]، فيما وصفها جوارماني بأنها «موئل عشائر العرب ومهد خيلها»[٣٧]، وهي كما نقل الباحث أيمن النفجان في دراسته عن البادية في نجد من ٥٠٠هـ-٨٥٠هـ، عن الرحالة محمد بن جبير الأندلسي في قوله عنها: «ما أرى أن في المعمورة أرضاً أفسح بسيطاً، ولا أوسع أنفاً، ولا أطيب نسيماً ولا أصح هواء، ولا أمد استواء، ولا أصفى جواً، ولا أنقى تربة، ولا أنعش للنفوس والأبدان، ولا أحسن اعتدالاً، في كل الأزمان، من أرض نجد».[٣٨]

وقد ظلت قبائل قيس عيلان، وخاصة العوامر منهم، يمثلون أبرز قبائل البادية النجدية لا سيما بادية اليمامة التي تتوسط الجزيرة العربية وتتميز بغناها بالثروات الزراعية، وكانت بنو عقيل بن كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة في تلك الفترة تعد من أهل شمالي بادية نجد وشرقها[٣٩]، وكانت تشكل هذه القبائل أهل هذه المنطقة منذ العصر الجاهلي، لم يزاحمهم عليها أحد حتى بدايات القرن الثامن الهجري[٤٠]. كما أن بني عقيل لم تنقطع صلتهم بشمالي نجد، ولا بالدول والمجتمعات المحيطة بالجزيرة العربية.

وتجمع المصادر على أن البطون المشهورة لبني عقيل، هم بنو عبادة، وبنو المنتفق، وبنو خفاجة، وبنو عامر، ويضاف إليهم بنو مالك، وتعد نجد الموطن الأصلي لها، وكان العراق وبلاد البحرين أحد المواطن الرئيسة التي استقرت بها هذه البطون، بعد أن غادرت موطنها في

نجد، وقد لعبت هذه البطون أدواراً مهمة في هذين الإقليمين.

وبنو عقيل كان لهم تاريخهم وسلطتهم أينما أقاموا، فعندما كانوا في البحرين، كما يبين أبو العباس القلقشندي، كانوا من أعظم القبائل العربية التي تسكن البحرين، وقد كانت لهم الغلبة والسيادة إلى أن أخرجهم بنو ثعلب منها، فتوجهوا إلى العراق وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية، وتغلبوا على الجزيرة والموصل وملكوا تلك البلاد.(٤١)

وسعت بطون بني عقيل طيلة عهدها في الجزيرة العربية والشام والعراق إلى إنشاء دويلات مستقلة بعيداً عن التبعية. فمثلاً حاول العصفوريون وكذا الجبريون حكم إقليم البحرين بعيداً عن التبعية العباسية والدول الكبيرة التي ورثت الدولة العباسية مثل دولة المغول وسلطنة هرمز(٤٢)، ولم يختلف الأمر من قبل مع أبناء عمومتهم من قبائل المنتفق الذين سادوا في العراق عبر تاريخ طويل.

وقد كان للعقيليين إمارة العصفوريين العامرية، ويُنسب الأمراء العصفوريون إلى زعيمهم الشيخ عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن شبانة بن عامر، وهم من بني عقيل، وكانوا أول من خلف دولة العيونيين على ولاية الأحساء، فحكموها قرابة قرن ونصف القرن، وتوسع نفوذهم وامتدت حدود إمارتهم فيها حتى سيطروا على جميع بلاد البحرين (أوال والأحساء والقطيف)، وعلى أجزاء من أراضي العراق وعمان والحجاز، وأخضعوا معظم قبائل تلك المناطق لسلطانهم.(٤٣)

وللعقيليين كانت أيضاً إمارة آل جبر (دولة بني عامر الجبرية)، ويرجع نسب بني جبر إلى زامل بن حسين بن ناصر بن جبر، فيما يرجع نسب جدهم الأكبر جبر إلى بني عقيل، وقد أسسوا

دولتهم على أنقاض الدولة الجروانية التي كانت بدورها قد قامت على انقاض دولة العصفوريين (بني عمومة آل جبر) من بني عامر بن عقيل، حيث حكم بنو جبر الجانب الشرقي من الجزيرة العربية منذ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وحتى أواسط القرن السادس عشر، واتسعت دولتهم بحيث ملكوا البحرين وعمان وانتزعوا مملكة هرمز[٤٤]، حتى وصفها البعض، وفقاً لامتداد حدودها وشدة مقاومتها للقوى الاستعمارية، بالدولة العربية الخليجية الموحدة[٤٥]، وشهد عهدهم مجموعة من الحكام لُقّبوا بالسلاطين، قامت على أكتافهم عملية تأسيس الدولة وتطورها وازدهارها، وشهدت البلاد في عهد بعضهم تطوراً ونماء ورخاء في أكثر من مجال.

وكان إقليم ظفار أحد المنافذ الذي استغلها الجبريون لترويج تجارتهم، حيث كانت ظفار من المنافذ الرئيسة التي تُصدَّر منها الخيول العربية الى الهند، تلك التجارة التي احتكرها بنو عقيل في شرق الجزيرة العربية، وقد حركت تلك التجارة الرائجة أطماع البرتغاليين للاستيلاء والسيطرة على تلك المناطق وانتزاع ما كان يجنيه بنو جبر من تلك التجارة[٤٦]، واستطاعت دولة بني عامر الجبرية أن تقاوم الاستعمارين الفارسي والبرتغالي في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، لا بل كانت هي الوحيدة من بين الكيانات السياسية العربية في المنطقة التي لم تستسلم للبرتغاليين أو تخضع لهم، بل واجهتهم بتحدٍّ واضح منذ اللحظة التي وصلوا فيها إلى السواحل العربية أول مرة. [٤٧]

بطون العوامر في البلدان العربية

يتوزع العوامر في عدد من الدول العربية، لاسيما دول المنطقة، وبخاصة دول جنوب شرق

شبه الجزيرة العربية. وحتى عقود قريبة لم يكن هناك ما يحول دون انتقال أفراد قبيلة العوامر أو أي جماعات منها ما بين أراضي هذه المنطقة، وبحكم ما كان من تداخل تاريخي ما بين سكان مناطق ساحل عمان، فقد غدا لسلطنة عمان حصة وفيرة من العوامر.

ويذكر محمد سليمان الطيب عن بطون بني عامر بن صعصعة نقلاً عن النسَّابة والمؤرخ العماني الرائد في أنساب القبائل في عمان الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه «إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان»، أن بني عامر بن صعصعة من القبائل المهمة في عمان، وهم قبائل متعددة، ومن أعمدة النسب النزاري، ومنهم بنو هلال، وكعب، والجبور[٤٨]، وبنو قشير، وبنو العجلان (شحيمان الذي في جعلان)[٤٩]، وبنو كلاب بن ربيعة، ومنهم الجعافرة، وبنو سلول، وبنو عمر[٥٠]، ومنهم شكيل[٥١]، ومن القبائل المعروفة آل عزيز وبنو جُنّي وآل عمير وبنو خالد[٥٢]، حيث كان العيونيون حكام بلاد البحرين قد قاموا، بعد أن هزموا القرامطة في أواخر القرن الخامس الهجري، بترحيل بعض قبائل بني عامر بن صعصعة، ومعهم قبائل من بني سُلَيم إلى عمان واليمن.[٥٣]

وقد استقر العوامر الذين سكنوا عُمان في نزوى وحولها، وفي مسقط ومناطقها، وفي مناطق من الباطنة والشرقية، وفي ولاية المصنعة، وولاية بهلا، وولاية أزكي، وولاية صحم، وتتوزع مستقراتهم على العديد من البلدات والقرى مثل: عقيل، والقريتين، وحمدارية، وساليبا، وحديد، وشافعة، وسياب، وحبل، وسوق الخضري، وخرما، والأكليل، والصليبة، والسيل، والهبل، والقلاع، وسوق القادري، والحزم، وبيت الفلج، وقاروت، وسياحي، وبسيا، وسيفم، والساد، وغلة، ووادي بوشر، وحيل العمير، وخوض، ووادي سمال، ودغمار، وآدم، والعيون، والمضيبي.

واستقطبت نزوى حصة وافرة من العوامر، حيث استقر الكثير منهم حولها وفي مناطق من مسقط والباطنة. وينقل الطيب عن صمويل باريت مايلز ما ذكره من أن الجزء المستوطن من قبيلة العوامر في عمان يشغل اثنتي عشرة قرية بالقرب من نزوى، وهي قرى: قريتين والحامدية والأكليل والصليبة والحديد والحماديين وشاقعة والسيل والهبل والقلاع وسوق القادري والحزمة.(٥٤)

ومن العوامر أيضاً من هو في مدينة مسقط، وهناك من هو حولها في بيت الفلج وروى، ومنهم من في الساد وفي غلة وفي وادي بوشر، وفي حيل العمير وفي الباطنة وفي خوض في وادي سمال وفي دغمار. وينقل الطيب عن ج. ج. لوريمر في كتابه «دليل الخليج» أن العوامر في عمان يسكنون قرى عقيل وقلعة العوامر والفلج وحميدة وقريتين وقاروت وشفاع وسياحي ونزوى. (٥٥)

وينقل عبد العزيز عبد الغني إبراهيم عن وثيقة بكماستر في الحديث عن الخريطة القبلية لإمارة أبوظبي أن تقرير بيرد التابع لبتروليوم كونشسون يفيد بأن للعوامر مستقراتهم في منطقة نزوى في عقيل والقريتين وحمدارية وساليبا وحديد وشافعة وسياب وحبل وسوق الخضري وخرما، كما استقرت بعض بيوت العوامر في نزوى ذاتها وفي السيب وفي مناطق أخرى من مسقط والباطنة.(٥٦)

ويقول الطيب إن من العوامر من يسكن في حضرموت، ومنهم أفخاذ عديدة؛ مثل آل إبراهيم وآل تبياع وآل حجار وآل جعفر والحطاطمة وآل خميس وآل عبد الباقي والكسابيب وآل كليلة وآل هادي وآل وائل.(٥٧)

وينقل جي. بي. كيلي عن ويلفرد ثيسجر صاحب كتاب «الرمال العربية» أن العوامر أقاموا عدداً من القرى في سفوح الجبل الأخضر في عمان، لا تزال القبيلة تملكها[٥٨]. ويبين جي. إس. بيركس وسالي. آي. ليتس في كتابهما «العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عُمان الداخلية» أن العوامر قبيلة قائمة في عمان منذ زمن بعيد قاعدتها قلعة العوامر، قرب أزكى، وديارهم في الشرقية، وأهم مواطنها آدم والعيون والمضيبي، وقد تفرقوا بعض الشيء فقامت منهم جماعات تعيش في الباطنة قرب السيب. ومعظم الحاذقين في إنشاء الآبار والأفلاج، إن لم يكن كلهم، هم من أهل المنطقة حول آدم.[٥٩]

ويذكر مداد الهنائي في كتابه «التاريخ والبيان في أنساب قبائل عمان» العديد من المناطق التي يسكنها العوامر في ولايات مختلفة في عمان، ومن الذين ينسبهم إلى عامر بن صعصعة هناك آل خميس، ويرجع نسبهم إلى خميس بن عامر بن ربيعة ثم يتصل نسبهم إلى عامر بن صعصعة، ويعدد أفخاذ هذه القبيلة فيذكر: آل خلفان (أو خفان)، آل عمران، الحلاقين، ويصف سكناهم في ولاية المصنعة، وفي هذه الولاية يسكن أيضاً من العوامر آل جراد، ويتصل نسبهم إلى جراد بن المنثقب بن عامر بن عقيل بن الأسبق بن عامر بن صعصعة[٦٠]، ومن آل خميس هناك من يسكن كذلك في ولاية بهلا[٦١]، كما يسكن بلدة سيفم بولاية بهلا من العوامر قبيلة بني شكيل المتصل نسبها أيضاً إلى عامر بن صعصعة، ومن أفخاذ بني شكيل بيت آل السمح، الغساسنة، أولاد خلف، أولاد علي، أولاد خميس، أولاد محمود[٦٢]، وتسكن بنو شكيل كذلك بلدة بسيا[٦٣]، ومن العوامر في معظم بلدات ولاية أزكي آل عبد السلام[٦٤]، وهم يسكنون كذلك في ولاية صحم، ويتصل نسبهم إلى هلال بن عامر بن صعصعة، وهم من المتمسكين بالدين والمتميزين بالفقه.[٦٥]

ويقول حمد إبراهيم الحقيل عن العوامر في عمان في كتابه «كنز الأنساب ومجمع الآداب»

بأن معظمهم بدو، يتنقلون حتى ظفار، وقليل منهم يقيمون في جوار نزوى، وعددهم يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ شخص[٦٦]، ويذكر كذلك بني خالد الذين يقول عنهم إنهم من عامر بن صعصعة، ويحدد إقامتهم في الباطنة، ويقدر عددهم بنحو ألفي شخص.[٦٧]

وفي العراق أقامت قبائل كثيرة من بني عامر بن صعصعة في مناطق مختلفة من البلاد، فكانت لبني عُقيل منها بطون كثيرة، كما تُعد بطون بني كلاب من أهم البطون التي رحلت من ديارها في شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام[٦٨]، ولم يكن بين عرب هذه البلاد وبين موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية وخاصة نجد فاصل يحول دون اللقاء والهجرة، ولذلك استمرت الروابط قوية ومتصلة رغم خضوع تلك البلاد للسيطرة غير العربية[٦٩].

ومن أشهر قبائل عامر بن صعصعة الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا بنو هلال، وقد تمت هجرتهم بإيعاز من الفاطميين في القرن الحادي عشر الميلادي، ومنهم الشخصية شبه الأسطورية أبو زيد الهلالي بطل الملاحم الشعبية الشهيرة، والذي يذكر البدو أنه أول من قال الشعر النبطي.[٧٠]

وقبل هذه الهجرة بثلاثة قرون انتقل أغلب قبيلة عقيل بن كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة إلى أفريقيا بهجرات متتابعة بدأت منذ نهاية القرن الأول للهجرة، حين استجاب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك لمطلب الوليد بن رفاعة الفهمي عامله على مصر، بأن ينقل جماعة من سليم إلى مصر، انضموا إلى إخوانهم من بني عامر بن صعصعه في شرقي النيل، واستقروا جميعاً في نواحي بلبيس عام ١٠٩ هـ[٧١]، إذ يبين عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، وفقاً لما ذكره ابن خلدون وهو يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة، أن قسماً من بني المنتفق قد نزحوا مع بني سليم إلى أفريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط.[٧٢]

وبنو هلال هم بطن من عامر بن صعصعة من هوازن العدنانية، وفيهم الشرف لأن منهم زوجتين من نساء الرسول «صلى الله عليه وسلم»، ميمونة بنت الحارث (وماتت بعده)، وزينب بنت خزيمة (أم المساكين)، وماتت قبله، وكان لها قبل زواجها بالرسول «صلى الله عليه وسلم» خمسة أولاد؛ شعبة، ناشرة، نهيك، عبد مناف، وعبدالله، ونُقل عن ابن خلدون في العبر أن بطون بني هلال ترجع لهؤلاء الخمسة.(٧٣)

ومن أهم بطون بني هلال المنحدرة من عامر بن صعصعة، والموزعة في بعض الديار المصرية بنو عامر، ومنهم طائفة بساقية قلتة (قلبة) في مصر، من الأعمال الأخميمية في الديار المصرية. ونُقل عن الحمداني أن منهم بطون رفاعة وبني حجير وبني عزيز.(٧٤)

ومن بطون بني هلال بنو عقبة في أسنا من صعيد مصر، وطائفة أخرى في أسوان(٧٥)، فلهم بلاد أسوان، من صعيد مصر، وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيداب(٧٦)، ومن بطون بني هلال بنو جميلة، ومساكنهم من أعمال قوص من الديار المصرية.(٧٧)

وفي بلاد المغرب العربي، فإن من أهم بطون بني هلال بن عامر بن صعصعة بني بعجة، وبني فروة وبني رياح، ومنازلهم فيما بين مصر وأفريقية «تونس» اليوم(٧٨)، ومن بني رياح ملك العرب القديم في بلاد المغرب القديم، ومنهم فرع في العراق، ومساكنهم في نواحي قسنطينة والمسيلة والزاب.(٧٩)

ومن رياح هناك بنو فادح، منازلهم المغرب الأقصى، وهم من العرب المعروفين بالعقد(٨٠)، وكذلك بنو عتبة، ومنازلهم نواحي باجة بأفريقية «تونس». ونُقل عن ابن خلدون ذكره لهم إذ قال: «منهم بالمغرب الأقصى خلق كثير».(٨١)

وبنو شداد هم بطن من بني الأشجع بن هلال بن عامر بن صعصعة، ونُقل عن ابن خلدون ما قاله من أن منازلهم في جهة بونة من بلاد المغرب.(٨٢)

وفي شرق أفريقيا ينقل خالد النزر عن عبد الرحمن آل ملا بأن مدينة مقديشو عاصمة الصومال حالياً تم تأسيسها على يد ستة من الأحسائيين، حيث يقصد بالأحسائيين في المنطقة هناك من ينتسبون إلى بني عامر، وذلك نظراً للتبادل التجاري الذي كان نشطاً بين الخليج وشرق أفريقيا والهجرات السكانية بين هاتين المنطقتين.(٨٣)

وثمة من هم من بني عامر في السودان، فما زالت قبيلة بني عامر البجاوية هناك تعرف بالحاساوية أو «الحساوية»، وكانت قد حلت في مناطق لا تتحدث العربية، فتأثرت لغتهم على مر السنين بمن حولهم وصار لهم لغتهم التي تسمى على اسمهم فتعرف باللغة «البني عامرية» أو التيجيرية، وفي ذلك ينقل النزر عن ضرار صالح ما نعيد نصه: «إن بني عامر شرق السودان ينسبون إلى الأحساء، فيقال لهم بنو عامري، كما يقال للواحد منهم حاساوي... ويُخيَّل للمرء أن قبيلة بني عامر البجاوية إنما أخذت من بني عامر بن صعصعة أصحاب الأحساء في وقت غير معروف، وأن جماعات من هذه القبيلة كانت تتوافد على مرافىء الساحل الشرقي للسودان، مثل مصوع أو باضع والعقيق، أو عدولية وسواكن وغيرها».(٨٤)

أما في الأندلس فهناك بنو نُمير بطن من عامر بن صعصعة، وذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، أن دار بني نُمير في الأندلس هي البراجلة(٨٥)، ونُقل عن ابن خلدون في العبر أن منازلهم كانت في الأندلس، إلى جانب ما كان لهذا البطن من منازل في الجزيرة الفراتية والشام.(٨٦)

كما ذكر ابن حزم وجود بني قشير بن كعب بن ربيعة في الأندلس وأن دارهم هي جَيَّان، وأن

منهم بإلبيرة عدداً[٨٧]، وذكر أن من بني خويلد بن سمعان بن خفاجة: بنو الحصين بن الدجن بن عبد الله، بمنتيشة بالأندلس؛ ودارهم: جيان، ووادياش؛ وهم بنو عطاف بن الحصين بن الدجن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر بن خويلد بن سمعان[٨٨]، كما ذكر أن النَّجويّ محمد بن مُعارك من بني خفاجة بن عمرو بن عقيل العامري والمعروف بالعقيلي في قرطبة.[٨٩]

هوامش الفصل الأول

١. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٢م، ص٢٧٤، ومحمد متولي شعراوي، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د. ت)، ص١٩٣، وعلاء الدين المدرس، النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، القاهرة: دار الكتاب العربي،ط٤، ٢٠٠٦م، ص٣٢٣.

٢. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٤، محمد متولي شعراوي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٩.

٣. علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي، المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١م، ص٦٦، نقلاً عن موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، بيروت: مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٨م، ص٧٦.

٤. محمد متولي شعراوي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٢.

٥. المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٩.

٦. علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي، مرجع سبق ذكره، ص٨٩.

٧. محمد متولي شعراوي، مرجع سبق ذكره، ص ص٢٢٩-٢٣٠.

8. علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي، مرجع سبق ذكره، ص٧٢.

9. محمد التُّونجي، شاعرات في عصر النبوة، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦٦.

10. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٤.

11. أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، كتاب الأنساب، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت)، ص٣٧٩.

12. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٨٧.

13. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق يوسف الصميلي، ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م، ص ص ١٥٦-١٥٧.

14. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٩٠.

15. السيد احمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨.

16. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٩م، ص ص١١٤-١١٥.

17. السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٢٣.

18. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص ص١٩٩-٢٠٠، وأنس بديوي وآخرون، روائع الشعر

الإسلامي، بيروت: دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٣٢.

١٩. السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٧٧، ص ص١٢٧-١٢٨.

٢٠. يوسف فرحات، ديوان مجنون ليلى، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٣م، ص ص٥-٦.

٢١. محمد التُّونجي، مرجع سبق ذكره، ص١٢٠.

٢٢. المرجع السابق نفسه، ص١٦٦.

٢٣. المرجع السابق نفسه، ص ص١٦٦-١٦٧.

٢٤. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٩١.

٢٥. محمد التُّونجي، مرجع سبق ذكره، ص ص١٧١-١٧٢.

٢٦. للمزيد أنظر: محمد أحمد عبد المولى، بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم (٤١٥-٤٧٢هـ/ ١٠٢٥-١٠٨٠م)، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

٢٧. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات.. الشام، القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٩٥م، ص ص٢٤-٢٥.

٢٨. عارف مرضي الفتح، الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز من ١-

١٣٨٥هـ/ ٦٢٢-١٩٦٥م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، مج١، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٠٢، نقلا عن أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٧م، ص٢١٠.

٢٩. المرجع السابق نفسه، ص١٩٥.

٣٠. عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، الدولة العصفورية ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مجلة الوثيقة، العدد ٣، السنة ٢، يوليو ١٩٨٣م. ص ص ٢٦-٧٧.

٣١. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٧٨.

٣٢. للمزيد أنظر: عبدالله الجوراني، دراسة وثائقية في تاريخ المنتفك الوطني: أحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أواخر العهد العثماني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠٠٨م، وانظر كذلك: محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٩م.

٣٣. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مرجع سبق ذكره، القسم الأول، ص ص٣١٨-٢١٩. نقلاً عن عبد اللطيف ناصر الحميدان، مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية، مجلة الدارة، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، السنة السابعة، العدد الرابع، رجب ١٤٠٢هـ، مايو ١٩٨٢م، ص ص٥٥-٧٧.

٣٤. أيمن سعد النفجان، من أخبار البادية في نجد من ٥٠٠هـ-٨٥٠هـ، الرياض: دار المؤلف للنشر، ٢٠٠٨م، ص٦، ص١٧.

٣٥. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٩م، ص١٦.

٣٦. أيمن سعد النفجان، مرجع سبق ذكره، ص١٩.

٣٧. كارلو كلاوديو جوارماني، نجد الشمالي: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في عام ١٨٦٤م، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث-المجمع الثقافي، ط١، ٢٠٠٩م، ص١١.

٣٨. أيمن سعد النفجان، مرجع سبق ذكره، ص٣٧.

٣٩. المرجع السابق نفسه، ص ص٣٣-٣٥.

٤٠. المرجع السابق نفسه، ص ص٣٣-٣٥.

٤١. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص ص٣٣١-٣٣٢.

٤٢. محمد محمود خليل، عرب البحرين..تاريخ الدويلات المحلية لبني عقيل في الخليج وشرق الجزيرة العربية، تقديم ومراجعة سيدة إسماعيل كاشف، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢.

٤٣. للمزيد أنظر: عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، الدولة العصفورية ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مرجع سبق ذكره، وانظر كذلك: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مرجع سبق ذكره.

٤٤. للمزيد أنظر: سليمان الغنام، فصول من تاريخ الجزيرة العربية وجوارها الإقليمي (منذ أقدم العصور التاريخية حتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م، وانظر كذلك: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مرجع سبق ذكره.

٤٥. فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، بغداد: دار واسط، ١٩٨٥م، ص ص٢١٥-٢١٦.

٤٦. محمد محمود خليل، مرجع سبق ذكره، ص١٢١.

٤٧. محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥م، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م، ص١١٧.

٤٨. سماهم ابن عقيل الظاهري آل جبر أو الجبريين، وليس الجبور، وهلال هو ابن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العقيلي الذي كان أحد أشهر سلاطين دولة الجبريين في شبه الجزيرة العربية، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مرجع سبق ذكره، القسم الأول، ص ٢٣٧.

٤٩. المرجع السابق نفسه، ص٤٧.

٥٠. محمد سليمان الطيب، قبائل سلطنة عمان: عن أنسابها وفروعها وديارها وأعلامها، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، ص٤٣.

٥١. ينقل الطيب عن ابراهيم جار الله بن دخنة الشريفي في موسوعته الذهبية أن بني شكيل

هم أبناء عمومة العوامر من بني عامر بن صعصعة، إلا أنه يرجح انتسابهم إلى عامر بن صعصعة. محمد سليمان الطيب، مرجع سبق ذكره، ص ص١٧٦-١٧٧.

٥٢. المرجع السابق نفسه، ص ص ٤٦-٤٨.

٥٣. المرجع السابق نفسه، ص١٥٩.

٥٤. المرجع السابق نفسه، ص٣٦٦.

٥٥. المرجع السابق نفسه، ص٣٦٦.

٥٦. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، الخريطة القبلية لإمارة أبوظبي، مجلة ليوا، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، عدد١٣، يناير ٢٠٠٥م، ص ص٥٣-٥٤.

٥٧. محمد سليمان الطيب، مرجع سبق ذكره، ص٣٦٧.

٥٨. جي. بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (د. ت)، ص٦٨.

٥٩. جي. إس. بيركس وسالي. آي. ليتس، العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عمان الداخلية، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢م، ص٦.

٦٠. مداد بن سعيد بن حمد الهنائي، التاريخ والبيان في أنساب قبائل عمان، لندن: دار الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٤٩.

٦١. المرجع السابق نفسه، ص٤٤٩.

٦٢. المرجع السابق نفسه، ص٤٤٦.

٦٣. المرجع السابق نفسه، ص٤٤٩.

٦٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٤٠٤-٤٠٥.

٦٥. المرجع السابق نفسه، ص٣٦١.

٦٦. حمد بن إبراهيم بن عبدالله الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، الرياض: الدار الوطنية السعودية، ط١٤، ٢٠٠١م، ص٣٠٩.

٦٧. المرجع السابق نفسه، ص٣١١.

٦٨. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٦٥.

٦٩. فاروق عمر، الخليج العربي في العصور الإسلامية: دراسة في التاريخ السياسي ١ه-٦٥٦ه/ ٦٢٢م-١٢٥٨م، دبي: دار القلم، ط١، ١٩٨٣م، ص٤٥.

٧٠. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص١٥٦، وأبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٠١.

٧١. عبد العزيز مطر، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، القاهرة : دار الكاتب العربي، ١٩٨١م، ص ٢٢.

٧٢. عبد اللطيف بن ناصر الحميدان، الدولة العصفورية ودورها السياسي في تاريخ شرق

الجزيرة العربية، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٦-٧٧.

٧٣. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٩٢.

٧٤. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦، وأبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٠١، ص٢٤٥.

٧٥. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٣٠.

٧٦. المرجع السابق نفسه، ص٣٩٢.

٧٧. المرجع السابق نفسه، ص٢٠٢.

٧٨. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٥.

٧٩. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٧.

٨٠. المرجع السابق نفسه، ص٣٥٠.

٨١. المرجع السابق نفسه، ص٣١٧.

٨٢. المرجع السابق نفسه، ص٢٧٨.

٨٣. خالد النزر، آل عصفور: أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين عاماً، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣١، نقلاً عن عبد الرحمن بن عثمان آل ملا، تاريخ هجر، الأحساء: مكتبة التعاون الثقافي، ١٩٩٠م.

٨٤. المرجع السابق نفسه، ص٣١، نقلاً عن ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨ه، ص٤٢٩.

٨٥. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٨٠

٨٦. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٠.

٨٧. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٢٩٠.

٨٨. المرجع السابق نفسه، ص٢٩٢.

٨٩. المرجع السابق نفسه، ص٢٩١.

الفصل الثاني

القبلية ودورها
في مجتمع الإمارات

أهمية علم الأنساب وتطور الحاجة إليه

تُعد دراسة الأنساب من الاهتمامات الأساسية للعرب، وقد حظي هذا الموضوع عند العرب باهتمام كبير على مدار التاريخ، إذ لم تعتنِ أمة من الأمم بالأنساب كعناية العرب بأنسابهم في الجاهلية، وكذلك في الإسلام الذي غدت فيه المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية، ولما لها من فضائل وفوائد من أهمها العلم بنسب النبي «صلى الله عليه وسلم» الهاشمي القرشي، والتعارف بين الناس، حتى لا ينتسب أحد الى غير آبائه، ومعرفة الورثة وأحكام الوقف والزواج، وكذلك التفريق بين جريان الرق على العجم دون العرب.[١]

وإلى جانب كل المنافع المتأتية من معرفة الأنساب، فإن صلة الرحم تظل هي الأقوى بينها، وقد ارتقى الأمر فيها إلى أن تكون معرفة الأنساب من الأمور التي حثنا عليها ديننا الحنيف ضمن الأوامر التي أرادنا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن نقوم بها، فيقول ابن حزم الأندلسي: «حدثنا أبو محمد عبدالله بن ربيع التميمي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن معاوية القرشي الهاشمي: حدثنا أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: حدثني أبي: حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض: حدثنا عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن عبد الله بن يزيد مولى المنبعث، عن أبي هريرة قال: قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب».[٢]

وقد كان عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» يأمر الناس بما أمرنا به رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ويقول ابن حزم الأندلسي في ذلك: «حدثنا محمد بن سعيد بن نبات: حدثنا عبد الله بن نصر: حدثنا قاسم بن أصبغ: حدثنا محمد بن وضاح: حدثنا موسى بن معاوية: حدثنا وكيع:

حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم».[٣]

لا شك أن مثل هذا الحث على تعلم علم النسب والاهتمام به منذ ظهور الإسلام شكل حافزا لأن ينحى المهتمون بالأنساب منحى أكثر علمية وشمولية، وقد ظل اهتمام هذا الدين بالنسب موصولاً في كلا أساسيه: كتاب الله وسنة الرسول، يقول ابن حزم الأندلسي في كتابه «جمهرة أنساب العرب»: «وقد قص الله تعالى علينا في القرآن ولادات كثير من الأنبياء «عليهم السلام» وهذا علم نسب. وكان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يتكلم في النسب فقال: «نحن بنو النضر بن كنانة»، وذكر أفخاذ الأنصار «رضي الله عنهم» إذ فاضل بينهم. فقدم بني النجار، ثم بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن الخزرج، ثم بني تميم، وبني عامر بن صعصعة وغطفان».[٤]

وإلى جانب ما أكسبه الدين للنسب من أهمية لما يترتب عليه من أحكام شرعية وغيرها، فإن النسب لم ينفصل عن التاريخ، بل انبث في كل كتب التاريخ، بحيث اتخذ التداخل بين التاريخ والنسب أشكالاً متعددة، منها إثارة صلات القرابة في المصادر المختلفة، واستعمال النسب كإطار للتأريخ، والتحقيب بالنسب، وتفسير الوقائع التاريخية بالقرابة، إضافة إلى التزمين بالنسب قبل أن يوضع التاريخ الهجري، بحيث نرى أن كتب التاريخ توحي بأن الإطار الذي سجلت الذاكرة العربية فيه وقائع التاريخ كان إطاراً من النسب.[٥]

وكان عمر، وعثمان، وعلي «رضي الله عنهم»، علماء بعلم الأنساب، فيما كان أبو بكر الصديق «رضي الله عنه» وأبو الجهم بن حذيفة العدوي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من أعلم الناس بالأنساب، ولشدة رسوخهم في العلم بجميع أنساب العرب، فقد

أمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حسان بن ثابت «رضي الله عنه»، أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق «رضي الله عنه».(٦)

لقد شجع ذلك علماء النسب ووسع من ثقتهم بأهمية هذا العلم، حيث وجدوا مكانتهم بعد التحولات المتمثلة في الدولة الإسلامية والفتوحات الإسلامية، ومن ذلك التأكيد على دراية أبي بكر الصديق بالنسب أو على وجود دغفل النسابة في بلاط زياد بن معاوية، مما قد يوحي بأن النسابة أصبح عالماً ضرورياً لكل حاكم يريد أن يعرف حدود رعيته.(٧)

وساهمت التطورات المتسارعة التي عرفها المجتمع العربي في الجاهلية القريبة وفي المرحلة الإسلامية في توليد صلاحيات جديدة لعلم الأنساب، وكان في الكثير من التحولات ما يدفع للاهتمام بالنسب، ومن هذه التحولات: إنشاء الديوان، تخطيط الأمصار، الاحتكاك بشعوب غير عربية، وفرض نظام هو موضوعياً يمثل نظاماً للسيادة العربية.(٨)

وكما يتوصل محمد سعيد في دراسة له لأدب النسب، فإن ما يؤشر إلى أن التحولات التاريخية ربما كانت الدافع للاهتمام بضبط النسب في شكل تأليفي، ما شهده النصف الثاني من القرن الأول الهجري من تشكل بدايات للتأليف في النسب بشكل مستقل، وذلك في مدينة حديثة النشأة وقبلية البنية هي الكوفة، إذ يعتبر أن أقدم كتاب في النسب العربي على الإطلاق قد يكون ألفه معاون بن عامرة الكندي في الكوفة حوالي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م، ولم يصلنا منه إلا عنوانه «افتراق معد»، حيث يقر بأن الفصل بين أولئك الأوائل الذين عملوا في التأليف في النسب من الأمور العسيرة.(٩)

لقد ساعدت حركة التأليف في النسب بشكل مستقل على تأصيل النسب، وتشجيع الباحثين

والمهتمين، وسهلت علينا معرفة صلات القرابة من مصادر مختلفة، واستعمال النسب كإطار للتأريخ، يساعد في تفسير الوقائع التاريخية بالقرابة، وصار مُيسَّراً للجميع معرفة أن أصل النسب يعود إلى نوح عليه السلام، ووَلَد نوح ثلاثة أولاد: سام وحام ويافِث، فوَلد سام العرب وفارس الروم، وَوَلَد حام السّودان والبربر والنبط، وَوَلد يافث الترك والصَّقَالبة ويَأجوج ومَأجوج.

وقسَّم المؤرخون العرب الى العرب العاربة (أو البائدة)، مثل طسم، وجديس، وعمليق، وجاشم، وشالخ، والعرب المستعربة، وهم: القحطانيون جنوب الجزيرة العربية، والعدنانيون شمالها.(١٠)

لذا فقد اتفق النسابون والمؤرخون والباحثون على أن العرب على اختلاف قبائلهم، وتباين شعوبهم من ولد سام بن نوح، فبعضهم يرجع إلى لاوذ بن سام، وبعضهم إلى أرم بن سام، وبعضهم يرجعهم إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام، وبعضهم إلى إسماعيل بن إبراهيم، وبعضهم إلى مدين بن إبراهيم من ولد عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام.(١١)

والعرب كلهم نزاريون «عدنانيون»، ويمنيون «قحطانيون»، يرجعون لنسب عدنان وقحطان، لذا فهم إخوة رغم انتشارهم في بلاد العرب كلها، يشكلون أمة عربية واحدة، مدحها الخالق عز وجل، فقال تعالى : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ».(١٢)

ومع كل ما للنسب من أهمية، وما للعرب من مكانة في احتضان رسالة الإسلام، إكراما من الخالق لهم دون غيرهم من الأمم، فإن ذلك لا يعني البتة الاعتقاد بأن الإسلام فاضل بين عربي عدناني وآخر قحطاني، أو بين عربي وغير عربي، أو أبقى على ما كان للأنساب من شأن في

الجاهلية من حيث المفاخرة، بل جعل التقوى مكرمة للإنسان، وخير الحديث في ذلك كلام الله الذي خاطب عباده على اختلاف ألسنتهم ومعتقداتهم وألوانهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»(١٣)، وحديث رسوله الكريم في خطبة الوداع: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى».(١٤)

فرغم أن العرب منذ القدم يفخرون بأنسابهم، ويحفظونها عن ظهر قلب، ويعتبرونها أساس وجودهم ومدعاة شرفهم، فإننا نرى أن أبا بكر الصديق، أحد علماء الأنساب وأخبار العرب، وأستاذ الكثير من النسابين، لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المثالب.(١٥)

ومع كل ما تقدم من فضائل ومنافع لعلم الأنساب، وما لذلك من ارتباط كامل بالتاريخ وتحولاته، ومن دور فاعل في مسيرة مجتمعاتنا جعلت منه علماً نافعاً وضرورياً، فإننا بلا شك ندرك أن الاطمئنان إلى الأصول وسلامة الجذور يزيد من ارتباط الفرد بجماعته، ويعزز ثقته في مقدرات أمته، ويدعوه للتمسك بقيمها النبيلة وأعراقها الأصيلة.

الروح القبلية في مجتمع الإمارات

على الرغم من أن عهد البترول والثروة التي حملها، والتنمية البشرية والنهضة العمرانية والازدهار الاقتصادي التي كانت من ثماره وقد عمت البلاد، كان يتوقع أن تقود جميعها إلى ضعف القبلية ولو بدرجات متباينة في مناطق الإمارات المختلفة تبعا لنوع المركز العمراني وبعده عن عواصم الإمارات، غير أن ذلك لم يحصل بين قبائل الإمارات؛ فروح القبلية لم تنعدم أو

تضعف، إذ بقي أبناء القبائل متمسكين بقبليتهم دون النأي بأنفسهم عن مكونات الحضارة المادية ومتطلبات المعيشة العصرية، قدوتهم في ذلك حكامهم، لا سيما حكام آل نهيان، حيث حرصوا على التمسك بروح القبلية، وعظَّموا من شأن قيمها الإيجابية، وأبقوا على الكثير من مكنوناتها التي تحفظ للشعب الإماراتي أصالة عروبته ونقاء انتمائه.

فلقد حافظ آل بوفلاح على الروح القبلية بين مختلف القبائل التي ارتبطت بهم أو عاشت في مناطق نفوذهم، وصار ذلك في صلب سياسة حكام آل نهيان، فمنذ تأسيس الإمارة اتبع الحكام سياسة رسَّخت الروح القبلية وعززتها لدى مختلف قبائل الإمارة، وقد تجلت هذه السياسة لدى الشيخ زايد الكبير، وهي سياسة قائمة على بث روح التماسك بين قبائل الإمارة المختلفة وربطها مع بعضها بحيث تبدو وكأنها جسد واحد ذو أطراف متعددة، وظلت هذه السياسة تلقى الاهتمام لدى الحكام من بعده، وما تزال متأصلة حتى اليوم في نفس رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان.(١٦)

وقد أثبتت ثقافة القبيلة على يد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أنها قابلة للتكيف مع محيطها، وأنها من المرونة بالقدر الذي مكنها من التعامل مع التغيرات الجديدة. وبدلاً من أن تكون منغلقة تشكل عقبة أمام عملية التحديث، فقد كانت هذه الثقافة المرتكز الأساس الذي مكَّن شعوب المنطقة من استيعاب وتقبل التطور الجديد الذي حدث خلال جيل واحد.(١٧)

وقد ساهم في قابلية التكيف تلك، ذلك القدر من الخصوصية الذي كانت تتسم به قبائل أبوظبي في اختلاف حياتها عن نمط الحياة التقليدي وعن الأسلوب المعتاد في الحياة الصحراوية النمطية، إذ من المحتمل أن أوجه الاختلاف هذه قد منحتهم مزية التكيف مع ضغوط عالم جديد ومختلف تماماً ظهر بعد اكتشاف النفط.(١٨)

ومن المعروف أن معظم الشعوب العربية ترجع في أصولها إلى المناطق الصحراوية القاحلة، حيث لعبت هذه البيئات القاسية دورها في مختلف ميادين حياتهم وتطورهم، فكان لها أثرها في تشكيل ثقافتهم، كما أنها أكسبتهم صفات ميزتهم عن غيرهم من الشعوب، فمنحتهم الصلابة وقوة التحمل والاعتماد على النفس، ومكنتهم بذلك من فتح البلاد الواسعة، كل ذلك دون أن يعتري صلات القبيلة والإرث المشترك لديهم أي ضعف، كما يشرح ذلك كتاب «بقوة الاتحاد» الذي جاء فيه:

«لقد كانت الطاقة التي أظهرها العرب القادمون من الصحراء مذهلة، ليس فقط من حيث حجم فتوحاتهم المتلاحقة شرقاً وغرباً، بل بسبب ما حققوه من إنجازات حضارية أيضاً. لقد أنشأ أحفاد هؤلاء البدو الرحَّل مدناً عظيمة مثل بغداد والقاهرة وأشبيلية وقرطبة، فيما انتشر الإسلام طواعية في مناطق واسعة. وخلال قرن تحول العرب إلى أمة مستقرة إلى حد كبير، غير أن صلات القبيلة والإرث المشترك لم تضعف إطلاقاً».[١٩]

فالبيئة الطبيعية التي مثلتها طبيعة المكان من صحراء قاحلة لعبت دورها في تشكيل مجتمع البدو، إلى جانب البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، وهي القائمة على مفاهيم ومبادىء العادات والتقاليد، مثل الشرف والكرم والشهامة والشجاعة وحسن وفادة الضيف، والتي ما زالت حية ممتدة من أصولها البدوية إلى يومنا هذا، ويضاف إلى العاملين السابقين البنية السياسية التي تنتظم من خلالها حياة البدو الاجتماعية والمتمثلة في القبيلة والزعامة القبلية.[٢٠]

التركيبة السكانية لقبائل الإمارات

يتنمي أهل الإمارات إلى أصول عربية معروفة، شأنهم شأن بقية الشعوب العربية، فهم

ينتمون إلى أسر وقبائل متقاربة تنتمي كلها إلى أمة واحدة هي أمة العرب، وتربطهم بالشعوب العربية روابط الدين واللغة والتاريخ المشترك وغيرها من الوشائج. ويغلب على المجتمع الإماراتي الطابع القبلي، إذ ينتمي أبناؤه إلى قبائل عربية أنسابها معروفة، وتنقسم إلى بطون وأفخاذ، ويتلقب أبناؤها بأسماء تلك القبائل وبطونها وأفخاذها. ورغم ما تعرض له شعب الإمارات عبر العصور إلى الاختلاط بأقوام غير عربية في المدن الساحلية، فإن ذلك لم يؤثر في الروح القبلية لأهل تلك المدن، مثلما أثر في طبيعتها الاقتصادية، وظلت المناطق الداخلية التي نأى بها بعدها عن الاختلاط بعيدة عن أي تأثر، فبقيت الجماعات التي يغلب عليها طابع البداوة محافظة على إرثها البدوي بكل صفاته ومميزاته.(٢١)

ويتميز العرب في الجزيرة العربية بنقاء عرقهم عبر التاريخ، فقد احتفظوا بنقائهم العريق بسبب انقطاعهم عن العالم الخارجي في الصحراء والبحر؛ فلم تحدث أية هجرات من البلاد المجاورة نحو شبه الجزيرة العربية، ورغم السلطة الهشة التي فرضها الأحباش والفرس والأتراك في بعض الأوقات على بعض مناطق الجزيرة العربية مثل اليمن وعمان والحجاز ونجد وسيطرتهم على بعض المدن الكبرى، فإنهم لم يتزاوجوا قط مع القبائل ولم تختلط الدماء، وحافظ العرب فيها على نقاء دمهم، إذ يرى ثيسجر أن ما من جنس في العالم حافظ على نقاء دمه كما العرب، وإن كان ثمة دم اختلط في بعض المدن والموانىء البحرية إلا أن ذلك لا يشكل أكثر من رغوة على حافة الصحراء.(٢٢)

ومن المعروف تاريخياً أن المنطقة لم تعرف من قبل غير النظام القبلي، فكُتُب المؤرخين المسلمين في صدر الدولة الإسلامية هي التي مثلت طلائع المعلومات التاريخية عن المنطقة، وتشير تلك المراجع إلى أن النظام القبلي هو الذي ساد المنطقة، كما تشير أيضاً إلى أن المناطق

الداخلية كانت موئلاً لقبائل وفدت من قلب الجزيرة العربية وشمالها، وقد اشتدت هجرتها إلى هذه الجهات بعد القرن الخامس للميلاد، وتوغلت نحو الساحل شيئاً فشيئاً، وتمتع معها سكان السواحل بحياة شبه مستقرة تعتمد بالدرجة الأولى على الصيد البحري والتجارة، إلا أن سكان الداخل من هذه الهجرات كانوا في تنقل دائم بطبيعة حياتهم الرعوية[٢٣]. وظل امتداد هؤلاء حتى اليوم يمثل القبائل الأكثر تمسكاً بقبليتهم وحفاظاً على الروح القبلية بينهم.

ويغلب على شعب الإمارات الطابع القبلي، وتنتمي التركيبة السكانية العربية فيه إلى قبائل عربية هاجرت من مواطنها الأصلية قبل آلاف السنين، وسكنت أرض الإمارات وعاشت في ربوعها، وتفرعت منها قبائل، كما يلخص ذلك محمد حسن العيدروس، إذ يقول إن هذه القبائل انقسمت إلى بطون وأفخاذ متعددة أطلقت على نفسها أسماء من اشتهر من شيوخها وقادتها أو أسماء المناطق التي سكنتها، فصارت الحصيلة أن هناك المئات من التسميات القبلية التي تشكل بمجموعها شعب الإمارات. غير أن أكثر من اشتهر منهم القبائل التي لها مركز السلطة والحكم في كل إمارة، فحكام إماراتي أبوظبي ودبي من قبائل بني ياس، وحكام إمارتي الشارقة ورأس الخيمة من القواسم، وحكام إمارة عجمان من النعيم، وحكام أم القيوين من المعلا، وحكام الفجيرة من الشرقيين، ومن الطبيعي أن لكل واحدة من هذه القبائل بطوناً وأفخاذاً متعددة أيضاً.[٢٤]

تمثل القبيلة في شبه الجزيرة العربية رابطة إيجابية، إذ تمنح القوة والتماسك الاجتماعي[٢٥]. وتعتبر الولاءات القبلية والأسرية وعلاقات القرابة أكثر الولاءات التقليدية رسوخاً وتأثيراً في مجمل حياة أهل الإمارات، ويؤكد فالح حنظل بأن التجمعات القبلية الكبرى من سكان الإمارات الأصليين، والأسر الحاكمة لتلك التجمعات والإمارات، كلها عربية النسب إلى يومنا

هذا، فبنو ياس بمختلف بطونهم، والقواسم، والنعيم بأفخاذهم المتعددة، والمعلا، والشرقيون، والأرهاط القبلية الأخرى مثل: العوامر، والمناصير، والظواهر، والشحوح، وبنو كعب، وعشرات غيرهم من القبائل والأفخاذ والبطون والأسر كلها عربية، امتزجت واختلطت بها قبائل عربية أخرى انحدرت من عمان وأرض نجد لتسكن أرض الإمارات وتصبح جزءاً من التركيبة السكانية العربية لمجتمع الإمارات الأصلي.[٢٦]

ويتميز مجتمع الإمارات بالعديد من السمات التي منحته قدراً من الخصوصية، ومن أهم تلك السمات احتواؤه على بيئات طبيعية مختلفة جمعت بين مختلف الأنماط، حيث لعبت تلك البيئات دوراً رئيساً في تنوع أنماط السكان الاجتماعية، إذ يجمل حنظل التركيبة السكانية العربية لمجتمع الإمارات الأصلي في مرحلة ما قبل النفط بالنقاط المقتبسة الآتية[٢٧]:

وجود جماعات منهم كانت تحيا حياة بدوية مرتبطة بالصحراء وتنطبق عليها حياة البدو بكل مواصفاتها، وأشهرهم الجماعات التي كانت تسكن منطقة (ليوا) في أبوظبي، وتشبهها إلى حد ما الجماعات التي تعيش في بلدة (العين) في أبوظبي وواحة (الذيد) في الشارقة وغيرها من الواحات.

وجود جماعات أخرى كانت تعيش في مدن وقرى ومجمعات سكنية بنتها على الساحل الرملي الممتد من أبوظبي إلى رأس الخيمة تقريباً، مروراً بدبي والشارقة وعجمان وأم القيوين.

وعموماً فإن هذه الجماعات كانت تعيش على التجارة والصناعة وتمتهن مهنة البحر وعالمه خاصة مهنة الغوص، لذلك فإن تركيبها الطبقي كان يمثل صورة لمهنة البحر التي كانوا يمتهنونها، ما عدا الأسر الحاكمة بحرسها ومطارزيتها وخدمها.

وجود جماعات كانت تعيش في سهل ساحلي أخضر، وهم بعض سكان إمارة رأس الخيمة، والأكثرية هم سكان السهل الساحلي المسمى ساحل الشميلية الممتد من الفجيرة إلى مدينة دبا والمطل على بحر عمان، وهذه الجماعات تشبه من حيث النظام المعيشي العام الجماعة السابقة، ويزيدون عليهم كونهم مجتمعاً زراعياً أيضاً.

سكان الجبال، وهم يقطنون منطقة رؤوس الجبال ورأس مسندم، وهم قبائل عربية، اختارت السكن في المناطق الجبلية الوعرة فصارت لهم طبيعة بدوية جبلية خاصة بهم.

سكان الجزر البحرية: وهم المجموعات من القبائل العربية التي كانت تسكن في الجزر البحرية، مثل جزر دلما وصير بني ياس وصير بونعير وأبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وغيرها، وهم قوم يشكل البحر كل عالمهم.

المجتمع العربي المتنقل بين الساحلين الإيراني والعربي في الخليج: وهم عرب تركوا ديارهم لفترة زمنية والتي كانت على ساحل الإمارات أو بقية ساحل الخليج، وانتقلوا إلى الساحل الإيراني وأوجدوا هناك إمارات ومدناً وقرى ومجتمعاً عربياً، وتنقلوا بين الساحلين فكانت لهم إمارات على الساحل العربي أيضاً.

إمارة أبوظبي

كانت إمارة أبوظبي في تشكيلها الأول تشمل معها أيضاً منطقة دبي، ويتزعم حكامها كل القبائل التي تسكن أرض الإمارة مثل العوامر والمناصير والظواهر وغيرهم، كما تذكر ذلك

فاطمة الصايغ التي تصف الإمارة آنذاك فتقول:

«امتدت أراضي الإمارة لتغطي مناطق شاسعة، كلها صحراوية تقع معظمها على حدود الربع الخالي، إلا أن لها ساحلاً بحرياً طويلاً، مما جعل سكانها يعيشون نوعين من الحياة؛ الأولى حياة بدوية يعيش أهلها في محاضر ليوا، أي واحات منطقة ليوا المتاخمة لحدود المملكة العربية السعودية وكذلك واحة العين وما جاورها من الواحات المتاخمة لحدود سلطنة عمان، والثانية حياة بحرية، إذ مارس الأهالي خاصة سكان بلدة أبوظبي العاصمة مهن البحر بمختلف أشكالها، حيث شكلت إيرادات الغوص العمود الفقري لاقتصاد الإمارة، كما هو الحال في بقية الإمارات أيضاً».[٢٨]

فقبل عهد البترول لم يكن لإنسان الإمارات بُدٌّ من التكيف مع مكونات البيئة من حوله في أنماط حياته الاجتماعية وفي أنشطته الاقتصادية. ويبين شاكر خصباك أن هذا التكيف للبيئة انعكس في شكل النظام الاجتماعي السائد الذي اتخذ القبلية أساساً له، وفي نوع الحياة الاقتصادية الذي اعتمد أساساً على الصيد البحري وتربية الحيوان، واتخذ بالتالي نمطين متباينين من الحياة هما: البداوة، والتحضر.[٢٩]

صحيح أنه ليس هناك نمط واحد ينسحب على مختلف القبائل في شبه الجزيرة العربية، فكل قبيلة عربية في الصحراء تكيفت مع الظروف التي واجهتها[٣٠]، وصحيح أن مجتمع القبائل التي عاشت في منطقة أبوظبي كان محكوماً بمقتضيات الطبيعة الاقتصادية والبيئية للمناطق التي عاشت فيها هذه القبائل، إذ كان هناك قدر كبير من التنوع ضمن هذه المنظومة في نمط الحياة السائد وفي مواقع التجمعات القبلية على حد سواء[٣١]، إلا أن بني ياس وحلفاءهم الرئيسيين ومنهم العوامر، والذين كانوا القوة الرئيسة في المنطقة، كان لديهم نمط قبلي مختلف قليلاً عن

الأنماط الموجودة حينها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية.[٣٢]

فعلى سبيل المثال في حين كان في مناطق عديدة في شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها لكل قبيلة منطقتها الخاصة بها، حيث تكون أهم مصادر الحياة من آبار المياه في هذه المنطقة ملكاً لها دون غيرها، فإن الأمر لم يكن كذلك لدى قبائل أبوظبي، حيث كان كل أفراد القبائل المتحالفة يتقاسمون الموارد المتاحة، ويحمي بعضهم ممتلكات بعض.[٣٣]

عشيرة آل بوفلاح وحلف بني ياس

تعتبر عشيرة آل بوفلاح من أكبر العشائر الإماراتية، وتمثل هي وقبيلة القواسم بلا ريب أهم قبائل دولة الإمارات، وكانت قد وفدت من قلب الجزيرة العربية في أواسط القرن السابع عشر، إذ ترجع أول إشارة نعلمها اليوم عنها إلى عام ١٦٣٣م، وذلك في مخطوطة عمانية قديمة تسمى «كشف الغمة.. الجامع لأخبار الأمة» للمؤرخ العماني سرحان بن سعيد[٣٤]، حيث ذكرها مثل غيره من بعض المؤرخين باسم قبيلة بني ياس. وقد قيل عن بني ياس، فيما قيل: «إنهم لا يرهبون البأس، وهم ليوث ولدوا على ظهور الخيل، وتوسَّدوا أحلاسها، وتمرنوا على مراسها».[٣٥]

ويذكر حمدي تمام أن تلك المخطوطة المهمة بالنسبة لتاريخ منطقة عمان وسواحلها تشير إلى أنه حين أعلن إمام عمان ناصر بن مرشد اليعربي صيحة الجهاد لتحرير البلاد من البرتغاليين المغتصبين، لبَّتْ عمان النداء المقدس، وسارعت قبيلة بني ياس إلى المشاركة مع غيرها من القبائل في مناصرة أهل الظاهرة في الجهاد وحرب التحرير، وطردوا البرتغاليين من قلعة «جلفار» شمال رأس الخيمة.[٣٦]

ويبين تمام نقلاً عن مصادر قديمة أن قبيلة بني ياس عبارة عن تجمع مؤلف من مجموعة من القبائل، ارتضت قيادة عامة، ومن عشائرها آل بوفلاح الفرع القيادي في بني ياس، الذي خرجت منه أسرة آل نهيان، والذي أنجب شيوخ وحكام آل نهيان منذ قرون عديدة، ومنه آل سعدون وآل سلطان وآل محمد، ومن بني ياس كذلك آل بوفلاسة الذين ينتمي إليهم حكام إمارة دبي، وقد كان آل بوفلاسة يتجولون في حدود أبوظبي الحالية، ولكنهم انتقلوا إلى دبي، حيث أصبحوا العنصر الرئيس فيها[٣٧]. فيما يذكر عبدالله بن صالح المطوع أن إمارة دبي كانت وحتى عام ١٨٣٣م، تخضع لإدارة آل بوفلاح في أبوظبي، إذ كانوا يولون عليها ولاة وحكاماً يحكمون باسمهم هناك.[٣٨]

وتتألف قبيلة بني ياس في الحقيقة من حلف من القبائل التي تزيد مجموعها على خمس عشرة قبيلة، وقد خضعت لزعامة آل بوفلاح، التي كانت تمثل القلب البدوي المحارب في القبيلة. وبالرغم من أن المنطقة الأصلية التي استقرت فيها هذه القبيلة، قبل أن تنضم إليها قبائل الحلف الأخرى، كانت منطقة الظفرة، ولا سيما موضع الحمرة، إلا أن سهولة تحركها على رقعة واسعة من المنطقة شجعها على الاستقرار في جزيرة أبوظبي بعد اكتشاف الماء فيها عام ١٧٦١م. ثم سيطرت هذه القبيلة بمجموعة القبائل التي انضمت إليها والقبائل التي أصبحت تابعة لها على جميع أراضي إمارتي أبوظبي ودبي. وقد قدر عدد أفراد بني ياس في أوائل القرن العشرين بحوالي خمسة عشر ألف فرد[٣٩]، إضافة إلى أبناء القبائل الأخرى التي كانت تشارك قبائل الحلف السكن والعيش في إمارة أبوظبي، وهي: قبيلة العوامر، وقبيلة المناصير، وقبيلة الظواهر.[٤٠]

كانت قبيلة بني ياس، التي قدر مساعد المقيم السياسي البريطاني في الجزء العربي من الإمبراطورية العثمانية في بدايات القرن التاسع عشر عدد أفرادها بين عشرة واثني عشر ألف

شخص، هي الأكبر من بين أربعين قبيلة كان ينحدر منها سكان الإمارات المتصالحة في بداية القرن العشرين، ويصفهم بأنهم «إحدى أكثر القبائل اندماجاً وقوةً في ساحل عُمان المتصالح»، ويذكر أن مجالهم عملياً كان يمتد إلى المناطق التابعة لشيخ أبوظبي.(٤١)

وإلى جانب كبرها، فإن بني ياس تعد من أعرق القبائل وأرفعها مكانة في جنوب الجزيرة العربية، وقد سعى كثير من القبائل الأخرى إلى الالتحاق بها طلبًا للحماية والأمن بسبب كبر أعدادها وبراعتها العسكرية وولائها الثابت لحلفائها، وباعتبارها أهم قبائل الإمارات وأغزرها عددًا.(٤٢)

وينقل محمد سليمان الطيب في كتابه عن قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة ما ذكره المؤرخ سالم بن حمود السيابي في كتابه «إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان» عن بني ياس:

«لهم زعامة أبوظبي ودبي وما إليها، وتلتف عليهم قبائل عديدة، وتتعلق بهم في مهماتها أمم، وبنو ياس هم الصميم فيهم، وأهلاً ببني ياس، أهل الخيل والحول، ولهم الفضل الذي لاينكر. ويرأس أبوظبي آل بوفلاح، ويرأس دبي آل بوفلاسة، وهم حكام على من يليهم، وحدّث عن بني ياس: فإنهم الأبطال التي لا تقف على قياس، والأشبال التي لا ترهب من البأس، وهم ليوث ولدوا على ظهور الخيل وتوسدوا أحلاسها، وتمرنوا على مراسها. وبطون بني ياس كثيرة يضيق مقامنا بتفصيلها، ورئاسة أبوظبي لآل زايد بن خليفة، ورئاسة دبي لآل حشر بن مكتوم والجميع معروفون».(٤٣)

ونقلت جوينتي مايترا وعفراء الحجي عن جي. بي. كيلي أن قبيلة بني ياس هي إحدى القبائل الرئيسة في شبه الجزيرة العربية المقيمة في صحاري الظفرة لمدة ثلاثة قرون على الأقل، وتتكون قبيلة

بني ياس من عشائر عدة، وهي مختلفة بطبيعتها عن تشكيل معظم القبائل العربية وخلفيتها. إلا أن التاريخ المشترك لهذه المجموعات القبلية المختلفة أدى إلى استمرار تلاحمها مع بعضها كاتحاد، ثم أوردتا رأي لوريمر بأنها من أكثر القبائل تضامناً واندماجاً ومن أشدها قوة ونفوذاً».(٤٤)

وكانت القبيلة في الأصل تتمركز حول واحة ليوا، بينما انتقل فرع آل بوفلاح إلى أبوظبي كمركز للإمارة في عام ١٧٩٣م، واستوطنوا بها، ومنهم انحدرت عائلة آل نهيان الذين هم حكام أبوظبي في هذه الأيام. وقد كان أفراد عشيرة آل بوفلاح قديماً يقضون فترة الشتاء مع إبلهم في الصحراء، وكان كثير منهم يذهب لصيد اللؤلؤ خلال فصل الصيف في قوارب غيرهم من قبيلة بني ياس، وكان آل بوفلاح أول من حازوا أملاكًا في واحة البريمي.(٤٥)

هوامش الفصل الثاني

١. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص ص ١٣-١٥

٢. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص٣.

٣. المرجع السابق نفسه، ص٥.

٤. المرجع السابق نفسه، ص٤.

٥. محمد سعيد، النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام: دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف، بيروت: دار الساقي، ط١، ٢٠٠٦م، ص٤٩.

٦. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص٥.

٧. محمد سعيد، مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

٨. المرجع السابق نفسه، ص٤٧، نقلا عن عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠م، ص١٣١.

٩. المرجع السابق نفسه، ص٤٨.

١٠. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت: دار

الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٩م، ص ٥٢.

١١. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، مرجع سبق ذكره، ص٣٩.

١٢. سورة آل عمران، آية ١١٠.

١٣. سورة الحجرات، آية ١٣.

١٤. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق يوسف الصميلي، ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م، ص٩٨.

١٥. علي محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م، ص٢٩.

١٦. شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة..دراسة في الجغرافية الاجتماعية، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م، ص١٧٥.

١٧. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بقوة الاتحاد: صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان القائد والدولة، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٢٦.

١٨. المرجع السابق نفسه، ص٤٥.

١٩. المرجع السابق نفسه، ص٢٥.

٢٠. المرجع السابق نفسه، ص٢٧.

٢١. محمد حسن العيدروس، دولة الإمارات العربية المتحدة: من الاستعمار إلى الاستقلال، الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٩م، ص٢١.

٢٢. ويلفرد ثيسجر، الرمال العربية، دبي: موتيفيت للنشر، ط١، ٢٠١٠م، ص ٨٢.

٢٣. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٢٨.

٢٤. محمد حسن العيدروس، مرجع سبق ذكره، ص ص٢٢-٢٣.

٢٥. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص٢٦.

٢٦. فالح حنظل، التركيبة السكانية لمجتمع الإمارات في مرحلة ما قبل النفط، مجلة شؤون اجتماعية، العدد٤٣،لعام ١٩٩٤م، ص ص١٣١-١٤٧.

٢٧. المرجع السابق نفسه.

٢٨. فاطمة الصايغ، الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة، العين: دار الكتاب الجامعي، ط١، ٢٠٠٠م، ص ص٦٠-٦١.

٢٩. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٢٧.

٣٠. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص٣٢.

٣١. المرجع السابق نفسه، ص٣٤.

٣٢. المرجع السابق نفسه، ص٤١، نقلا عن محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، ج١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م، ص٢١.

٣٣. المرجع السابق نفسه، ص٤٢.

٣٤. حمدي تمام، زايد بن سلطان القائد والمسيرة، ط٢، ١٩٨١م، ص٢٤.

٣٥. المرجع السابق نفسه، ص٢٥.

٣٦. المرجع السابق نفسه، ص٢٤.

٣٧. المرجع السابق نفسه، ص٢٥.

٣٨. عبدالله بن صالح المطوع، الجواهر واللآلىء في تاريخ عمان الشمالي، تحقيق فالح حنظل، دبي: مطبوعات جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١، ١٩٩٤م، ص ٨٨١.

٣٩. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٣٠.

٤٠. حمدي تمام، مرجع سبق ذكره، ص٢٦.

٤١. ورد ذلك في تقرير كتبه مساعد المقيم السياسي البريطاني في الجزء العربي من الإمبراطورية العثمانية عام ١٨١٨ في مختارات بومباي، وزارة الهند، العدد٢٤، ص١٦، وأعيدت طباعته في مذكرات المملكة المتحدة:

Bombay Selections XXIV p.16 reprinted in UK Memorial 11

p.128 Bombay.

٤٢. موقع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

http://www.sheikhmohammed.com.

٤٣. محمد سليمان الطيب، قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة: عن أنسابها وفروعها وديارها وأعلامها، المملكة العربية السعودية، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٩١، نقلا عن سالم بن حمود السيابي، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الإسلامي، (د.ت)، ص ٢٨.

٤٤. جوينتي مايترا وعفراء الحجي، قصر الحصن: تاريخ حكام أبوظبي ١٧٩٣-١٩٦٦م، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، ط٣، ٢٠٠٤م، ص ص١٤-١٥.

٤٥. موقع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

http://www.sheikhmohammed.com.

الفصل الثالث

العوامر في الإمارات
تاريخهم وأدوارهم وعلاقاتهم

تمهيد

يشهد تاريخ الجزيرة العربية في جزء وافر منه على ما تركته قبائل العوامر من أثر واضح في صفحاته منذ عهود طويلة، فقد صالت هذه القبائل، انطلاقاً من موطنها الأصلي في نجد، وجالت في ربوع المنطقة؛ فغزت وقاتلت ووحَّدت القبائل وبنت إمارات ودولاً، وصدَّت الغزاة الخارجيين، وقاومت المستعمرين، وامتدت خارج الجزيرة تنشط بنفس أدوارها توحّد وتقاتل وتبني، حتى بات تاريخنا العربي يحفل في مراحله المختلفة بفعل العوامر المؤثر في تشكيله.

وإلى الجنوب من نجد، امتدت قبائل بني عامر لتصبح مكوناً هاماً من نسيج المجتمعات التي كانت تعيش في حدود «عمان»، الإقليم الذي عرف تاريخياً بهذا الاسم ويشمل حالياً سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة. وظلت هذه القبائل من القوى الفاعلة في تاريخ مشيخات الساحل العماني التي بدأت تتشكل بعيد منتصف القرن الثامن عشر لتقود تدريجياً إلى قيام الدولة الحالية، واحتلت مكانتها في تاريخ الدولة المعاصرة الذي يدخل في إطار التاريخ العماني والعربي الشامل. ولا ينفصل عنه في مراحل عديدة منه. وكان تاريخ هذه القبائل حافلاً بالأحداث المتصلة بمختلف التطورات التي شهدتها المنطقة.

وكما ذكر كثير من المؤرخين والرحالة الأجانب والكتاب العرب، فإن العوامر لم ينقطع تواجدهم عن الأرض التي تشكل حالياً دولة الإمارات، ولم تَغِب قبائلهم عن الخريطة القبلية لإمارة أبوظبي، ولم تخلُ سيرة أي من حكام آل بوفلاح، منذ ظهر حكمهم، من وجود العوامر إلى جانبهم؛ سواء كانوا متحالفين معهم في الحرب، أو مشاركين لهم عيش البادية أو الواحات الزراعية، أو رفقاء وجلساء في المجالس التي كانت تدار منها أمور المواطنين، وتتسع أرجاؤها لآراء الجميع وحاجاتهم، وفي أصدائها كانت قصائد الشعراء، ومنها قصائد الشعراء العوامر،

تشكل الحراك الأدبي الذي يتجذَّر اليوم في بنيان الموروث الإماراتي.

فمنذ قرون عدة شهدت معظم المناطق التي تشكل الآن أقاليم إمارة أبوظبي وجود العوامر، وقد أصبح معها العوامر مخلصين لحكام آل بوفلاح، وظلوا يمثلون الحلفاء التقليديين لبني ياس. وتوثق المصادر التاريخية أن وجود العوامر كان معروفاً جداً خلال القرن الثامن عشر، وأن ارتباط العوامر بآل بوفلاح يعود إلى مستهل القرن التاسع عشر، وتذكر المصادر وقفة العوامر منتصف القرن المذكور إلى جانب الشيخ سعيد بن طحنون في الدفاع عن البريمي وحمايتها. فحين استدعى الشيخ سعيد بن طحنون في مايو ١٨٤٨م، رجال قبيلته وحلفاءه لطرد الدخلاء القادمين من نجد وإخراجهم من القواعد التي احتلوها حول العين، انضم جماعة من العوامر تتألف من مائتي رجل إلى قواته التي اتخذت موقعاً لها بالقرب من البريمي[١]. وتؤكد المصادر في أكثر من مرحلة، أن العوامر من جند آل بوفلاح المتميزين بصدق الولاء والإخلاص.

وقبيلة العوامر اليوم من القبائل الرئيسة والكبرى في إمارة أبوظبي، حافظت على ارتباطها بعلاقات المودة التقليدية مع حكام آل نهيان، فتعززت مكانتها المعروفة لدى شيوخ آل نهيان، وحفظت لها ذاكرة الإمارات شجاعتها ومواقفها المشهودة في تاريخ الإمارات، وبذا زاد حرص هذه القبيلة على مواصلة فعلها المؤثر في حاضر الإمارات ومستقبلها.

العوامر في تاريخ الإمارات

يبين المؤرخون الذين اهتموا بالجزيرة العربية وبقبائلها على أن العوامر في الإمارات جاءوا في الأصل من نجد، وقد قادهم نمط حياتهم البدوية وبحثهم الدائم عن الكلأ والماء إلى المرور

بمساحات واسعة من الجزيرة العربية، وساعدهم عددهم الكبير نسبة إلى القبائل الأخرى على الإقامة في مناطق مختلفة منها، وقد يكون من الصعب تحديد تاريخ لبداية تواجدهم في المنطقة، فمن المرجح أنهم تواجدوا فيها منذ أن عاش غيرهم من القبائل العربية أو تنقل في أرجاء المنطقة، سيما وأن إخوتهم الذين لم تنقطع روابط الدم معهم من القبائل العامرية الممتدة إلى عامر بن صعصعة كانت لهم، عبر قرون طويلة، صولات وجولات، ليس في نجد فقط، بل وفي معظم مناطق الجزيرة العربية، وساهموا في تشكيل تاريخها عبر إماراتهم وكياناتهم التي حكموا فيها، أو من خلال أدوارهم الفاعلة في بوادي الجزيرة وحواضرها.

وشهدت المنطقة، لا سيما المعروفة قديماً بمنطقة عمان، ومنذ القرون القريبة الماضية تنقل قبائل العوامر ما بين أراضيها؛ في صحرائها، وفي بلداتها، وضمن واحاتها، فهم في الربع الخالي، وفي حضرموت، وفي نزوى، وفي الظفرة والختم وبينونة، وفي البريمي، يتنقل البدو منهم وهم الغالبية، ما بين معظم هذه المناطق، ويستوطن بعضهم الأراضي التي وجدوا فيها كسب عيشهم بالزراعة أو بغيرها من المهن التي ارتبطت بحاجة المجتمعات في مناطق سكناهم وبالبيئة المحيطة بها.

وظلت البطون البدوية أو المركزية من العوامر، كما يقول جي. بي. كيلي في كتابه «الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية»، تتحرك منذ نهاية القرن التاسع عشر، ولقد أقامت المجموعة التي سكنت عمان حول نزوى في عمان نفسها وعلى ساحل بطينة أكثر من قرن في المنطقة، وكثيراً ما يوجد رجالها يطلبون الكلأ في شرق الظفرة أو الختم أو حتى في أقصى الغرب في بينونة، وكثيرا ما يختفون في هذه المناطق لعدة مواسم، ويعودون في طوافهم إلى عمان أو باتجاه الجنوب في الرمال، وهم يميلون في فصول الصيف إلى التركز في واحة البريمي. وكثيراً ما توجد بعض

الأسر من العوامر في قرية المويجعي.[٢]

وتعتبر قبيلة العوامر من القبائل المهمة، ليس فقط بموقعها بين القبائل، بل أيضا بسبب كثرة عددها نسبة إلى قبائل الجزيرة العربية، إذ يقول ثيسجر في حديثه عن قبائل الجزيرة العربية في أسفاره التي شكلت رحلة عبوره الربع الخالي وما حوله من عام ١٩٤٥م، إلى عام ١٩٥٠م: «لم تكن قبائل البدو في جنوب الجزيرة العربية مهمة من حيث العدد مقارنة بقبائل الجزيرة العربية الوسطى أو تلك التي تعيش في الشمال»[٣]. ويذكر محمد فارس الفارس أن صمويل باريت مايلز، الكولونيل البريطاني، الذي كان المعتمد السياسي والقنصل البريطاني في عمان عام ١٨٧٢م، في كتابه «الخليج.. بلدانه وقبائله» الذي نشره باللغة الإنجليزية للمرة الأولى عام ١٩١٩م، وصف قبيلة العوامر بأنها قبيلة ضخمة العدد من البدو الرحل.[٤]

ويذكر محمد سليمان الطيب في حديثه عن قبائل الإمارات العربية المتحدة أن العوامر من بين القبائل الهامة، إذ يقول:

«من أهم تجمع القبائل بني ياس، والقواسم، والمناصير، والعوامر، والظواهر والشرقيين، والنعيم، وآل علي، وبني حماد وغيرهم، ولكل من هذه القبائل تاريخها العريق ودورها في تاريخ المنطقة».[٥]

ويصف قبيلة العوامر بأنها من أكبر قبائل الإمارات، ومنها قسم كبير في سلطنة عمان، ومنها قسم في حضرموت في بلاد اليمن. وترتبط العوامر بعلاقات متينة مع آل نهيان من بني ياس، وتسكن المنطقة الجنوبية لأبوظبي، وخاصة منطقة أم الزمول وزرارة والربع الخالي، وهذه القبيلة ذات بأس وقوة.[٦]

ويستشهد الطيب قبل هذا وذاك بما ذكره النبي «صلى الله عليه وسلم» من أن بني تميم وبني عامر بن صعصعة من هوازن، وغطفان من قبائل العرب العظيمة ذات البأس في زمان.[٧]

ويؤكد الطيب ما ذكره الباحث الكويتي إبراهيم جار الله بن دخنة الشريفي في الموسوعة الذهبية أن من العوامر من هم في دولة الإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان، وذكر منهم الشيخ سالم بن حم من آل حيو، ويستشهد كذلك بما أتى على ذكره الشيخ حمد الحقيل في كنز الأنساب، فقد ذكر نسب العوامر إلى العدنانيين، وبين أن معظمهم من أهل البادية، ويتنقلون حتى ظفار في غرب عمان، ومنهم من يقيم في نزوى أو بالقرب منها، ونقل الطيب عن ج. ج. لوريمر في كتابه «دليل الخليج» أن العوامر قبيلة نزارية الجنس أي عدنانية، وهي قبيلة كبيرة تمتد ديارها على حدود الربع الخالي من ساحل عمان، وهو ما يعرف (الإمارات المتصالحة)، في الشمال إلى منطقة ظفار على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي. ووصفهم بأنهم يشتهرون بالشجاعة وحب القتال، وذكر ما قاله صمويل باريت مايلز من أن العوامر من المعديين (أي بني عدنان)، ويعود نسبهم إلى عامر بن صعصعة.[٨]

وبدو العوامر تشكيل قبلي بالغ التعقيد، ذكرته بالتفصيل الكثير من المؤلفات التي تبحث في القبائل العربية وامتداداتها، كما يقول علاء نورس في كتابه «سالم بن حم: ذاكرة تاريخ.. وتجربة حياة» ، أن العوامر، حسب وصفه، قبيلة كبيرة، امتداداتها كثيرة، كما ينقل ما أتى على ذكره الرحالة ويلفرد ثيسجر في كيفية تكيُّف هذه القبيلة مع حياة الرمال، وكيف عاشت بعض فروعها في الرمال الوسطى، وهي المكان الوحيد في الربع الخالي الذي تتواجد فيه الآبار، وأنه كان على ثيسجر أن يمر في أراضيها خلال رحلته، ويقدم تفاصيل لها قيمتها التاريخية بهذا الصدد، ويقول نورس:

«كان ثيسجر قد وصف في كتابة الشهير المعنون: «الرمال العربية»، رحلاته الاستكشافية بين عامي ١٩٤٥م، و ١٩٥٠م، حول وعبر الربع الخالي، تلك الصحراء التي تبلغ مساحتها نحو نصف مليون كيلو متر مربع، والتي تشكل واحدة من أقسى صحاري العالم. ولم يسبق لرحالة قبله، ما عدا البدو الذين يعيشون هناك، أن تجرأ على عبور تلك الرمال الخاوية مرتين. وكان يرى أنها المكان الذي يوفر راحة البال النادرة التي تأتي مع الوحدة، ووفاء البدو وسط ظروف بالغة القسوة».[٩]

كانت قبيلة العوامر من القبائل القليلة التي تنتشر ما بين الربع الخالي والساحل المتصالح وحضرموت، وهذا خلق لدى العديد من أبناء القبيلة معرفة بالصحراء ودراية بسبل اجتيازها، الأمر الذي شكل سبباً كي تكون هذه القبيلة مع قبيلة الرواشد هما القبيلتان اللتان شكل أبناؤهما فريق المرافقة والأدلاء لثيسجر في رحلة عبوره صحراء الربع الخالي، فقد كانت القبيلتان الوحيدتين بين قبائل الجزيرة العربية اللتين تكيفتا مع حياة الرمال.[١٠]

وتتميز قبيلة العوامر ببنيتها البدوية، ولذلك فهي قبيلة متماسكة قرابياً بفروعها المختلفة، كما يقول شاكر خصباك في كتابه «دولة الإمارات العربية المتحدة..دراسة في الجغرافية الاجتماعية»، ويشير إلى أن بعض أفراد القبيلة استقر في نزوى في سهل الباطنة، ويذكر أن أفرادها يتجولون بين أرض الختم، ولا سيما الجهات الشرقية من منطقة الظفرة، وأرض الكون ومراعي منادر الرباض، وهي تتنقل في ما بين جهات الربع الخالي وواحة البريمي.[١١]

والعوامر ممن تحكي رمال الصحراء ما صنعوه من تاريخ في خضم ضنك العيش، كما يقول نورس مستدلاً على قساوة حياتهم مما نقله عن ثيسجر في وصفه خلال رحلته في صحراء الربع الخالي لظروف العيش بين رمال الصحراء، إذ يقول ثيسجر:

«إن سحر هذه الرحلة بالنسبة لي، لم يكن في مشاهدة هذه البلاد فقط، وإنما في مشاهدتها تحت هذه الظروف؛ فالمشاق والأخطار اليومية والجوع والعطش والتعب من السير الطويل، تعكس الظروف القاسية لحياة البدو التي سعيت إلى التأقلم معها».(١٢)

وقد تركت حياة الصحراء تلك صفات لدى العوامر تميزهم عن غيرهم من القبائل، حتى أن ثيسجر كان بمقدوره تحديد صفات رجالات العوامر من مخالطته لهم في مجلس الشيخ زايد، إذ يقول عنهم إنهم كانوا يختلفون عن المتواجدين في حاشية الشيخ زايد لأنهم أشد عوداً وأكثر رقة.(١٣)

العوامر في أبوظبي

تصف فراوكة هيرد- باي في كتابها «من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة» قبيلة العوامر بأنها قبيلة كبيرة انتشرت منذ قرون عدة في وسط عُمان، ويستقر حاليًا بعض فروعها في عدد من قراها الرئيسة ووديانها بما فيها مدينة مسقط، وفي غضون ذلك انتقلت الفروع البدوية إلى أبعد من ذلك عبر الظاهرة إلى الختم، وإلى مناطق أخرى كانت بمثابة «الدار» لبني ياس، وتذكر أن وجود العوامر كان في المناطق التي تشكل الآن جزءاً من أقاليم إمارة أبوظبي معروفاً جداً خلال القرن الثامن عشر، وقد عرَّفهم الكابتن تايلور عام ١٨١٨م، كفرع من بني ياس، وكان سائر العوامر من البدو أقل نمطية في أسلوب هجرتهم خلال فصل الشتاء من القبائل الأخرى في المنطقة، وأكثر ما كان يميز تحركاتهم أن عائلات عدة منهم كانت تتجمع في واحة البريمي خلال الصيف.(١٤)

ولا تعرف البطون البدوية من العوامر الاستقرار مطلقاً، بل إنها كثيرة السرعة في تجوالها[١٥]، ويقول ثيسجر وهو يصف مناطق انتشار العوامر التي مر بها:

«عاشت بعض فروع العوامر في الرمال الوسطى، وهي المكان الوحيد في الربع الخالي الذي توجد فيه الآبار، وانتقلوا يميناً عبر الرمال إلى الساحل المتصالح... وكان علينا أن نمر في أراضيهم ونحن في الطريق إلى حضرموت».[١٦]

وفي دراسة قيمة لعبد العزيز عبد الغني بعنوان: «الخريطة القبلية لإمارة أبوظبي» تناولت قصة وثيقة أعدها بكماستر بعد رحلته في بادية أبوظبي من منطقة البريمي إلى الختم ثم ليوا حتى بينونة وعبر البحر إلى الجزر المأهولة على ساحل أبوظبي عام ١٩٥٢م، ينقل عن الوثيقة أن العوامر قبيلة من القبائل الكبيرة، وهي قسمان: بدو، وحضر، وبدو العوامر تشكيل قبلي بالغ التعقيد، وتمتد القبيلة فوق منطقة كبيرة تبدأ عند شمال تريم في وادي حضرموت إلى بينونة وحتى الأحساء[١٧]. ويذكر جي. بي. كيلي نقلاً عن ثيسيجر أن العوامر كانوا قبل بضع سنوات خلت القوة الغالبة في رمال الجنوب الشرقي، ومع ذلك فقد أدى تحسن أوضاع الأمن في الشمال إلى انتقال الكثيرين منهم إلى الظفرة[١٨]. وليس هنالك ثمة قبيلة تعرف بطاح المنادر الجافة كما يعرفها العوامر، كما أنه يندر أن يوجد كثيب أو عرق من رمال الظفرة لم يشاهده العوامر في تجولاتهم لا سيما في المناطق الجنوبية من البطين والكدن، وهناك بعض منهم لا تنقطع زيارته إلى المنطقة الجنوبية الغربية.

وكثيرا ما تطرَّق ثيسجر في حديثه عن رحلته في الربع الخالي إلى ذكر أماكن العوامر الذين كان منهم بعض رفاقه وأدلائه في أسفاره عبر الصحراء، فيمر بهم وهو في طريقه إلى الظفرة ثم ليوا، ويذكر القبائل الأخرى التي كان يمر بها مثل الرواشد والمناهيل وغيرهما[١٩]. ويصف

العلاقة ما بين العوامر والقبائل جنوب ليوا سواء منها المناصير أو بني ياس أو الرواشد[٢٠]، ويذكر مناطق العوامر الحدودية في حضرموت مثل بئر تميس[٢١]. وبينما هو في ضيافة الشيخ زايد بالمويجعي، يشير ثيسجر إلى مخيمات العوامر عند طرق الرمال.[٢٢]

في كتابه «رحالة وسياسيون زاروا الإمارات والخليج قبل النفط» ينقل محمد الفارس عن أحمد قاسم البوريني ما رواه عن مشاهداته في الإمارات خلال الأعوام من ١٩٥٣- ١٩٥٥م في كتابه «الإمارات السبع على الساحل الأخضر»، فينقل ما ذكره البوريني من وصف لواحة البريمي في الخمسينيات، أي قبل تقسيمها، لا سيما حين يأتي على وصفه للتجارة في تلك الواحة، والتي كانت تقوم على تجارة الجمال والأغنام، والمواد الغذائية والأقمشة، ويعدد القبائل التي كانت تسكن الواحة، ويؤكد وجود العوامر ضمن القبائل التي كانت تشكل سكان واحة البريمي آنذاك، وهم الذين ترجع أصولهم إلى نجد، حيث يرجع البوريني أصول عدد كبير من تجار الواحة آنذاك إلى أصل نجدي.[٢٣]

ويعود الفارس ويذكر وجود العوامر في واحة البريمي قبل نحو قرن من الفترة التي ذكرها البوريني، إذ ينقل في ذلك عن صمويل باريت مايلز ما جاء فيه من أنه إلى جانب القبائل الرئيسة التي كانت تسكن منطقة البريمي، والتي أهمها قبيلة بني ياس، التي كان يرأسها الشيخ زايد بن خليفة (زايد الكبير)، كانت هناك قبيلة العوامر، إضافة إلى قبائل النعيم، وبني كعب، وبني كتب، والدرامكة، وقبيلة الظواهر، وقال إن قبيلة العوامر تنتشر حول عمان، وتنتشر وبشكل أساسي في أطراف الصحراء من خليج كوريا موريا إلى السبخة (سبخة مطي)، وأشار إلى أن جزءاً كبيراً من القبيلة استوطن في عمان، حيث تشغل منطقة تضم اثنتي عشرة قرية.[٢٤]

كما ينقل محمد سليمان الطيب عن صمويل باريت مايلز « أن العوامر يتجولون في الصحراء

حتى ظفار»[٢٥]، ويعدد الطيب أماكن تواجد العوامر فيذكر: أرض الختم والكدن والحمرة[٢٦]، فيتجول العوامر بين أرض الختم، لا سيما الجهات الشرقية من منطقة الظفرة، وينتقلون في ما بين جهات الربع الخالي وواحة البريمي، وقد يصل بعضهم إلى سهول الظاهرة في عمان.

يذكر جي. بي. كيلي وهو يصف النزاعات قي نهايات النصف الأول من القرن العشرين أن العوامر كانوا من السكان الدائمين في منطقة البريمي، حيث يقول:

« توجد عناصر من بعض القبائل الأخرى بين الفينة والفينة من غير بني ياس، في المناطق الغربية المتنازع عليها. وتكون هذه العناصر في الغالب من قبائل مرة ورشيد والعوامر، ولا يمكن القول إن أيا من هذه القبائل، باستثناء العوامر، يقيم إقامة دائمة في المنطقة».[٢٧]

ونذكر هنا ما نقله عبد العزيز إبراهيم عن وثيقة بكماستر، التي تتحدث تاريخياً عن منتصف القرن العشرين، حيث تشير إلى أن قسماً من بدو العوامر يتحرك نهاية كل صيف في اتجاه الشمال عامة، ويتحرك قسم آخر منهم في اتجاه الغرب، فيصل بعضهم المجن والأحساء، بينما لا يتجاوز بعضهم منطقة البطين، ويذكر بكماستر في وثيقته أن أغلب هذه المجموعة قد اجتمعت في ربيع ١٩٥٢م، في المنطقة الواقعة إلى الجنوب مباشرة من جبل حفيت جنوب البريمي، ولربما كان من المنتظر أن يصيِّفوا في هذه المنطقة أيضاً لولا نزول الجراد، ما أرغمهم على العودة الى الحمرة.[٢٨]

ويذكر علي آل ناصر في كتابه «الذخيرة في مشجرات وأنساب قبائل الجزيرة» أن أهم منازل العوامر هي في أبوظبي والعين والختم والحمرة والكدن وليوا وغيرها[٢٩]، إذ يسكن الكثير من العوامر شرقي إمارة أبوظبي، وهناك من يسكن منهم بني ياس، ومنهم في المنطقة الغربية في بدع زايد، كما يسكن بعضهم في دبي.

حجم العوامر وطبيعة أعمالهم

وصف الذين اهتموا بالعوامر أو عرفوهم عن قرب وكتبوا عنهم أنهم من قبيلة مهمة ورئيسة بين قبائل الإمارات، وأجمعوا على أن قبيلة العوامر قبيلة عرفت بكثرة عددها نسبة إلى قبائل الجزيرة العربية، ووصفت القبيلة بين قبائل الإمارات بالكبيرة في عدد أبنائها، والتقدير هنا مرده القياس النسبي لأعداد أبناء القبائل الأخرى في الفترة الزمنية المعنية، وقد يكون من الصعب حصر أعداد أفراد القبيلة، سيما وأن القبيلة كانت من القبائل القليلة التي تنتشر ضمن مساحة شاسعة مفتوحة، تمتد ما بين الربع الخالي والساحل المتصالح وحضرموت، غير أن كل من وصف القبيلة بالكبر في عدد أفرادها، كان وصفه عاماً، وتحديد أرقام تقريبية للعدد كان يعد جزئياً، يقتصر على أبناء القبيلة الذين تواجدوا في المنطقة التي تم تقدير السكان ضمن حدودها آنذاك، إذ إن العدد الكلي لأبناء القبيلة في مختلف مناطق انتشارهم يفوق كل ما كان يتم تقديره بأضعاف كثيرة.

فها هو صمويل باريت مايلز يصف قبيلة العوامر بأنها قبيلة ضخمة العدد من البدو الرُّحَّل[٣٠]، وينقل عبد العزيز عبد الغني عن وثيقة بكماستر أن العوامر قسمان: بدو، وحضر[٣١]، رغم أن البدو منهم هم الغالبية. فصحيح أن سكان دولة الامارات العربية ينتمون جميعاً إلى قبائل معينة، صغيرة كانت أم كبيرة، غير أن الانتماء إلى قبيلة معينة لا يحتم على أفراد القبيلة جميعا الانصراف الى حرفة بالذات، كما يرى شاكر خصباك في دراسته الجغرافية الاجتماعية لدولة الإمارات العربية المتحدة، بل إن منطقة تواجد أفراد القبيلة هي التي تفرض على أتباعها نوع الحرفة التي يحترفونها؛ فإذا كانت القبيلة الواحدة موزعة في جهات مختلفة، في الواحات، وفي المراكز الساحلية وفي الصحراء، تنوعت حرفها بين الصيد البحري والزراعة والرعي.[٣٢]

وهذا ما ينطبق إلى حد كبير على قبيلة العوامر، إذ تعرف بأنها من القبائل البدوية التي تميزت بكثرة تنقلها وترحالها، ولذلك فهي قبيلة يتجول أفرادها بين أرض الختم ومراعي منادر الرباض، وهي تتنقل في ما بين جهات الربع الخالي وواحة البريمي، بحثاً عن أسباب الحياة من الكلأ والمياه، حيث تعتمد القبيلة على تربية المواشي، لا سيما قطعان الإبل، كما يتضح أن بعض أبناء القبيلة مارسوا، إلى جانب الرعي وتربية الإبل، الزراعة وبخاصة زراعة النخيل(٣٣)، وعمل بعضهم في جني التمور، ناهيك عمن اختص من العوامر في حفر الآبار والأفلاج، حتى كادوا أن يحتكروا هذه الحرفة في منطقة ساحل عمان لعقود طويلة، وسوف نأتي لاحقاً على ذكر ذلك بالتفصيل.

فقد كان من المناظر المألوفة أن ترى العوامر ينتقلون عبر الرمال من الختم إلى مقشن في الطرف الجنوبي للصحراء، حيث يقضون فصل الصيف بجوار أشجار النخيل التي زرعوها هناك. كما أن ثيسجر في حديثه عن رحلته في الربع الخالي يصف بساتين نخيلهم في «قف» القريبة من سيؤون، مع أن معظم هذه القبيلة تعيش في الرمال- الصحراء- شأنهم في ذلك شأن حلفائهم الرواشد(٣٤). فيما يشير الطيب إلى أن العوامر من القبائل التي اهتمت بالزراعة في منطقة العين منذ أولى الشيخ زايد الكبير الزراعة اهتمامه في تلك المنطقة.(٣٥)

ومع حلول الخمسينيات كانت حوالي خمسين عائلة تمتلك مزارع نخيل في واحة البريمي، ولكن القليل منها كان يمتلك مزارع في ليوا(٣٦). غير أن العديد منهم كان يذهب إلى محاضر ليوا حيث يشاركون في جني التمور ويتلقون أجورهم نوماً، أو قد يقايض بعضهم منتوجات إبلهم بالتمور.(٣٧)

ومما يدلل على تنوع أعمال العوامر إلى جانب اهتمامهم بتربية المواشي ما جاء في وثيقة بكماستر التي أوضحت أن أعمال العوامر لم تكن تقتصر على تربية الإبل والمواشي، بل إن منهم

من اهتم بالزراعة وبالغوص، ومنهم من عمل مع شركات النفط التي تواجدت في المنطقة، إذ يقول بكماستر في ذلك: «مزارع تمور العوامر في ليوا معفاة من الضرائب فيما يبدو، ولا يذهب أي منهم في هذه الفترة (١٩٥٢م) للعمل في الغوص، تلك المهنة التي كان يمارسها بعضهم في وقت سابق، إلا أن بعض أفراد هذه القبيلة كان يعمل مع أرامكو في الظهران بينما يعمل آخرون منهم في قطر».[٣٨]

ومما يشير إلى أن معظم المهن والأعمال التي كانت سائدة آنذاك، كان لها نصيب في حياة أبناء قبيلة العوامر، تلك العلاقات من الود والتآزر، وحالات التشارك والتكامل التي كانت من خصائص القبائل المنضوية تحت لواء حلف بني ياس والمؤازرة لها، إذ يذكر الموقع الرسمي لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ما يدلل على ذلك، فيرجع تماسك وصلابة هذا الاتحاد القبلي إلى عدد من الخصائص التي كان من أهمها أن الفروع والجماعات الحليفة لم تكن تعيش بشكل مستقل؛ بل كانت تتشارك وتختلط وتتزاوج فيما بينها في قرى ليوا، وأبرمت ترتيبات كان بدو أحد الفروع يرعى بموجبها إبل الفرع الآخر، وكان من لا يمتلكون قوارب لصيد اللؤلؤ يستخدمون قوارب الفروع الأخرى.[٣٩]

البداوة في حياة العوامر في الإمارات

يبين خصباك أن ظروف البيئة الطبيعية في دولة الإمارات قد لعبت الدور الرئيس في خلق ظاهرة البداوة أو الترحل، ففيما عدا أجزاء محدودة للغاية من أراضيها المترامية الأطراف التي تتوفر فيها مياه العيون والآبار حيث تصلح لقيام حياة مستقرة، فإن بقية مساحات دولة

الإمارات تشكو ندرة المياه ولا تصلح إلا لقيام حياة نباتية فقيرة ذات نمط فصلي مرتبط بظهور الحشائش في فصل سقوط الأمطار واختفائها في أشهر الجفاف، الأمر الذي فرض على إنسان الإمارات أن يكيف نفسه لهذا النمط من البيئة القاسية، فعمد إلى الترحال من مكان إلى آخر مستفيداً من وجود الحشائش حيثما ظهرت، وكان الرعي المتنقل أفضل نمط من أنماط الحياة الاقتصادية الذي لاءم هذه البيئة، ومن هنا وجدت القبائل البدوية المترحلة في دولة الإمارات، والتي من أبرزها قبيلة العوامر.[٤٠]

قدَّر ج. ج. لوريمر أعداد البدو ضمن قبائل دولة الإمارات في أوائل القرن العشرين بحوالي ٨٠٠٠ شخص[٤١]. رغم أن العدد قد يكون أكثر من ذلك بكثير. وتنقسم أنماطهم إلى أكثر من نمط، منها نمط القبيلة التي تمارس نوعاً من التنقل الفصلي بين أعالي الجبال والسهول المجاورة، أو بين القمم العالية والمناطق الأقل ارتفاعاً، فتتحرك القبيلة في فصل الصيف نحو الشمال، وفي فصل الشتاء البارد تنحدر إلى الجهات الجنوبية الأكثر دفئاً أو إلى السهول المجاورة، وهذا النوع من القبائل البدوية يعنى بتربية الماعز بصورة خاصة والأغنام والأبقار بدرجة ثانوية. وفي النمط الثاني تمثل قبيلة العوامر نموذجاً واضحاً فيه، فهو نمط القبيلة البدوية المترحلة التي تنتقل من موضع إلى آخر طول العام، حيث تشغل رقعة واسعة من الأرض، ويكاد أفرادها ينصرفون كلياً إلى تربية الحيوانات، ولا سيما الإبل، وهي تعيش في أعماق الصحاري.[٤٢]

كما أن قسماً من قبيلة العوامر يعد مثالاً على نمط آخر تمثله القبائل شبه الرحل التي تتأرجح بين البداوة والاستقرار، وهذا النوع من القبائل هو الذي يمثل الغالبية بعدد أفراده في دولة الإمارات، وتكون مناطق هذه القبائل قريبة من الواحات أو مراكز المياه، وهي تتواجد بأعداد كبيرة في منطقة السهل الحصوي الغني بمياهه الجوفية، وتكون على اتصال دائم بالزراع أو

بسكان المراكز الساحلية، كما يصفهم خصباك الذي يقول إن أفراد هذه القبائل كانوا يمارسون تغيراً دائماً لنمط حياتهم؛ ففي أوقات انحباس الأمطار وفقدان الكلأ وهلاك الحيوان ينتقل عدد منهم إلى القرى المتناثرة في الواحات وفي السهل الحصوي أو إلى المراكز الساحلية ويعملون في الزراعة أو غيرها، إلا أنهم قد يعودون إلى حياة البداوة اذا تحسنت أحوالهم وامتلكوا قطيعاً جديداً من الحيوانات، وقد خلق هذا التأرجح بين حياة الاستقرار وحياة الترحل طبقة من بين أفراد هذه القبائل تمارس الحياة البدوية والحياة الحضرية في آن واحد، ففي فصل الشتاء حيث تزدهر الصحراء بمراعيها ينصرف أفراد القبيلة إلى رعي الحيوانات، وبما أن قبيلة العوامر وغيرها من هذه القبائل تقيم في فصل الصيف بالقرب من الواحات حيث تتوفر لها موارد المياه فإن البعض من أفرادها يعمل في الزراعة، كما أن الموسرين منهم يشترون بساتين النخيل وينصرفون إلى رعايتها، وكان أتباع هذا النوع من القبائل، مثل قبيلة بني قتب وبعض فروع قبيلة النعيم، إلى جانب العوامر، هم الذين يمونون سكان القرى والمدن بالسكان بصورة دائمة.[٤٣]

ومن الواضح تماماً أن أهم ما تحرص عليه القبيلة البدوية هي ديرتها، و«الديرة» هي المنطقة الخاصة بالقبيلة والتي لا يحق لغيرها من القبائل أن ترعى حيواناتها فيها إلا بإذن منها، رغم أنه قد تتفق أكثر من قبيلة على الاشتراك في مرعى معين، فقد كانت قبيلة العوامر تشارك قبيلة النعيم في مراعيها، وينبغي أن يكون ذلك معروفاً لأفراد القبائل المتحالفة، كما ينبغي أن تكون طاقة المرعى كفيلة بسد احتياجات قطعان جميع أفراد القبائل المتحالفة، ويفيد واقع القبائل في دولة الإمارات أن أياً من القبائل لم تكن تنفرد في الماضي بمراعٍ معينة، بل كانت المراعي مشاعة بين قبائل متعددة بدرجة تكاد تقضي على مفهوم ديرة القبيلة، ولا سيما في سهل الظاهرة، وفي السهل الحصوي الذي تنقَّل العوامر فوق أرضه عقوداً طويلة[٤٤]. وقد وصل الأمر لدى القبائل المتحالفة في أبوظبي ليس فقط إلى تقاسم الموارد المتاحة، بل إلى أن يحمي أفراد هذه القبائل

ممتلكات بعضهم بعضاً.(٤٥)

ولم تكن أهمية المرعى وما يسمى بـ«ديرة» القبيلة تتعلق بمجرد وجود الكلأ فحسب، بل هي مرتبطة بدرجة كبيرة بموارد المياه التي تعتبر أساس تواجد القبائل في أماكن معينة، فالآبار، التي تعتبر مفاتيح الصحراء، هي التي تحدد تنقلات القبائل البدوية، وهي المسؤولة أيضاً عن توزيعها في بقاع الصحراء المترامية الأطراف، الأمر الذي جعل مسألة السيطرة على آبار المياه وادعاء ملكيتها مسألة حيوية وجوهرية بالنسبة للقبائل البدوية، حيث كان من حق القبيلة أن تمنع القبائل الأخرى من استخدام الآبار التي تقع ضمن ديرتها(٤٦). وقد كان خور بن حم العامري واحداً من الأمثلة على آبار العوامر، وهو من أشهر آبار منطقة الكدن، حيث يشترك العوامر في هذه المنطقة مع قبائل أخرى، وتعتبر الكدن من مناطق الظفرة، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من البطين الواقعة جنوب ليوا.(٤٧)

وكانت العوامر ومعها قبائل بدوية آخرى مثل المرة والمناهيل تقصد منطقة الظفرة باستمرار بحثاً عن الكلأ لمواشيها، حتى أن بعض المراقبين كانوا يعتبرونهم فروعاً ثانوية من بني ياس، وعلى خلاف مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، والتي كانت «داراً» معروفة لبعض القبائل، كانت آبار الظفرة، وليس كل آبار ليوا، مشاعاً تستخدمها أية جماعة من البدو وجمالهم، ولم تكن ملكيتها تقتصر على العائلة أو القبيلة التي قامت بحفرها.(٤٨)

وينقل عبد العزيز إبراهيم عن بكماستر قوله:

«يبدو أن الآبار التالية في منطقة الختم التي تبعد نحو خمسين ميلاً إلى الجنوب الغربي من البريمي هي التي يفضلها بدو العوامر على ما سواها، خاصة: الغينة، العقير، أبو

حريبة، بوسمرة، وهذا ما أفاد به أحد العوامر من فرع الخميس، ويفضل آخرون – كما تدل تحريات هندرسون – آبار سقاية، وقصص بالقرب من البريمي، وكذلك موية الجبار، وبو نخيله في منطقة الختم شمال العقير، وبوهفافا وفريجة بوهرم في الحمرة، وشليف وسويطية ودمقا في الظفرة نفسها، وقمرة في بينونة».[٤٩]

وتحدد وثيقة بكماستر المناطق التي ترعاها أكثر مجموعات العوامر، فتذكر: رمال دكاكا والكدن والبطين ورملة الحمرة والختم والظفرة وبينونة والمجن والأحساء، وبئر قيسورة التي في الركن الجنوبي الشرقي من رملة الحمرة ورملة الرباض التي لهم فيها نخيل، إذ يعتبرها العوامر «ديرتهم»، ويجتمع هؤلاء البدو في كل سنة تقريباً في هذه المنطقة وفي الكدن.[٥٠]

ورغم أن منطقة السهل الحصوي الداخلي تعد منطقة غنية نسبياً بمياهها، مما شجع سكانها من البدو على القيام ببعض النشاطات الزراعية بالإضافة إلى نشاطهم الرعوي، إلا أن النصيب الأوفر للعوامر لم يكن في السكن بين جنبات هذه المنطقة، بل أقام جلُّهم وتنقَّل في منطقة الرعي الأخرى التي تمثلها جهات الختم والظفرة وبينونة، وهي منطقة قاحلة، وأراضيها فقيرة بمياهها الجوفية وبنباتاتها، مما حصر نشاط القبائل البدوية فيها بالرعي. ونظراً لما تتعرض له قطعان القبائل التي تتجول في هذه المنطقة من هلاك في سني الجفاف، فقد حمل ذلك بعض أبناء قبيلة العوامر وغيرها من القبائل البدوية على التفتيش عن حرفة ثانوية إضافة إلى الرعي، فاستفادوا من توفر الأراضي الزراعية في واحة ليوا في منطقة الظفرة لضمان عمل وقت الصيف[٥١]، وكان لبعض العوامر بساتين نخيل في عدد من الواحات والبلدات مثل البريمي وليوا ومقشن.

وخلافاً لبقية جهات شبه الجزيرة العربية، ليس هناك حدود واضحة بين البدو الرحل والسكان المستقرين في دولة الإمارات، فهناك الكثير من التأرجح بين البداوة والاستقرار،

وغالباً ما تقضي القبائل البدوية جزءاً من العام فقط في الصحراء في رعي حيواناتها. هذا ما جاء على لسان أحد الباحثين، ولخص به خصباك نمط البداوة الغالب بين قبائل الإمارات، فمن النادر أن تكون القبائل البدوية المتواجدة ضمن دولة الإمارات بدوية بكليتها، كما أن حالة التميُّع بين البداوة والاستقرار أصبحت سمة بارزة، إذ كثيراً ما يستقر أفراد القبيلة عدداً من السنين ثم يعودون إلى حالة الترحل حسب ما تفرضه الظروف عليهم، أو قد يستقرون نهائياً، أو قد يقسمون أوقاتهم بين الترحل والاستقرار حسب فصول السنة. ولذلك فقد كان أشباه الرحل (أو أنصاف المستقرين) يمثلون دائماً الغالبية الكبرى بين بدو الإمارت.[٥٢]

وتنقسم قبيلة العوامر إلى فخذين كبيرين هما: فخذ بدر.. وفخذ لز، ولكل من الفخذين بطون عدة. وتسكن قبيلة العوامر المناطق الجنوبية لأبوظبي وخاصة الختم والحمرة والكدن وأم الزمول وزراره والربع الخالي. كما تسكن أكثر جماعات العوامر في إمارة أبوظبي [٥٣].

علاقة العوامر بآل بوفلاح

تعد قبيلة العوامر من القبائل الرئيسة في إمارة أبوظبي، ومكانتها معروفة لدى شيوخ آل نهيان، كما أن شجاعتها ومواقفها في تاريخ الإمارات مشهودة مؤرخة، هذا ما يعرف عن العوامر، وهو ما أكده علاء نورس مستشهداً بما جاء في تقارير لمسؤولين بريطانيين منهم الكابتن تايلر وكيل المقيم البريطاني في العراق خلال القرن التاسع عشر، ومارتن بكماستر الذي كان مسؤولاً سياسياً في أبوظبي بصحبة المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه»، حيث التقت تقاريرهم حول أن العوامر من جند آل بوفلاح المتميزين بصدق الولاء والإخلاص، وقد أشار هؤلاء

المسؤولون إلى وقائع بهذا الخصوص، وبينوا أن سالم بن حم، شيخ القبيلة، هو أحد أصدقاء زايد الشخصيين والقريبين منه.(٥٤)

ويُسجَّل للعوامر تاريخياً ولاؤهم المطلق لشيوخ آل بوفلاح، إذ يعود ارتباط العـوامر بآل بوفلاح إلى مستهل القرن التاسع عشر، كما يقول جي. بي كيلي، ويذكر أن الارتباط كان سبباً في أن يصل البعض إلى حد تسميتهم بأنهم فرع من بني ياس. ولقد ساعد العوامر آل بوفلاح في نزاعاتهم حول واحة البريمي، وكذلك في حروبهم مع مشيخات أخرى. وظل العوامر أجيالاً طوالاً يعتبرون في ساحل عمان من الذين يتحمل شيخ أبوظبي المسؤولية عنهم(٥٥). واستمروا في مساندة بني ياس في وقت الحرب، وكان شيخ بني ياس، وهو نفسه شيخ آل بوفلاح، يتوسط بينهم وبين قبائل أخرى(٥٦). وفي عام ١٩٥٢م، أصدر تميمة العوامر الشيخ سالم بن حم إعلاناً يؤكد الولاء المطلق لحاكم أبوظبي.(٥٧)

ويشرح بكماستر طبيعة العلاقة القائمة بين العوامر وآل بوفلاح فيقول:

«تعد مجموعة بدو العوامر التي يترأسها بن حم موالية للبوفلاح، ويثق كل من الشيخ زايد والشيخ هزاع في ولاء بدو العوامر إلى حد بعيد، ويقول زايد وهزاع: إن ميثاقاً شفهيا ً قد تم عقده بين آل بوفلاح وبدو العوامر قبل سبع سنوات، لدعم القبيلة للبوفلاح في حالة وقوع حرب». وينقل تأكيد الشيخين زايد وهزاع كليهما على أن العوامر قد دعموا أبوظبي في نزاعاتها مع بعض الجيران».(٥٨)

ويتضح من وثيقة بكماستر أن متانة وخصوصية العلاقة التي كانت تربط العوامر بآل بوفلاح كانت تعفيهم من دفع أي من أنواع الرسوم أو الضرائب التي كان يدفعها الآخرون

للبوفلاح، إذ يقول بكماستر في ذلك:

«ولا يبدو أن أياً من العوامر يدفع أي نوع من الزكاة أو الضرائب والرسوم لآل بوفلاح، فمزارع تمور العوامر في ليوا معفاة من الضرائب فيما يبدو».[٥٩]

ويوضح كيلي أن بطون البدو من العوامر الذين يجوبون أرجاء الظفرة والأقسام الشرقية من الربع الخالي ويصلون إلى أطراف واحة البريمي، كانوا يخضعون لقيادة آل بوفلاح، حتى أثناء وجودهم في المناطق التي كانت تشهد نزاعات حولها[٦٠]. وهذا ما يؤكده ثيسجر في عام ١٩٥٠م، إذ يذكر أن العوامر الذين يعيشون في شمال عمان وفي الرمال الحمراء والذين يتبعون الشيخ سالم بن حم يقرون بالولاء إلى شيوخ آل بوفلاح.[٦١]

فلقد وقف العوامر إلى جانب الشيخ سعيد بن طحنون (١٨٤٥-١٨٥٥م)، في الدفاع عن البريمي وحمايتها، وحقق الشيخ سعيد نجاحاً في العلاقة مع القبائل، فحشد مختلف قبائل المنطقة حول زعامته، وكان السبب في تلك الحالة هو حماية البريمي، إذ تمكن من جمع قبائل المنطقة كلها لمساندته، فكان معه إلى جانب قبائل العوامر قبائل الظواهر، وبني قتب والغفلة، وكذلك المناصير والمزاريع، إضافة إلى النعيم[٦٢]. وتقول جوينتي مايترا وعفراء الحجي في كتابهما عن قصر الحصن إنه من خلال إقامة الشيخ سعيد بن طحنون في البريمي قدم رؤساء القبائل البدوية، بني قتب وبني كعب والغفلة والعوامر والخواطر ولاءهم إلى الشيخ سعيد بن طحنون.[٦٣]

وبينما يؤكد حمدي تمام أن قبيلة العوامر كانت ترتبط بعلاقات مودة تقليدية مع حكام آل نهيان[٦٤]، يذكر خصباك أن القبيلة كانت ترتبط منذ أيام الشيخ زايد بن خليفة بمصاهرة مع آل

نهيان[٦٥]. وفيما يصف ثيسجر عند وصوله المويجعي في الخامس من نوفمبر ١٩٤٨م، ومكوثه فيها حتى ٢٨ يناير ١٩٤٩م، ما أشار إليه الشيخ زايد في حديث معه من أن للعوامر، هذه القبيلة البدوية، مخيماً عند طرق الرمال[٦٦]، ينقل نورس عن ثيسجر قوله: «إن للعوامر كلمة مسموعة»، وهو يشير إلى ذلك من خلال واقعة حدثت آنذاك.[٦٧]

ولأن الروح القبلية التي كانت دائماً أقوى بين السكان البدو مما هي عليه بين الحضر أو حتى بين أشباه البدو (أنصاف المستقرين). فقد كانت جهات إمارة أبوظبي، وبخاصة المناطق الداخلية منها، باعتبارها موئل البدو الحقيقيين، تشهد صوراً جلية من التضامن والروح القبلية بين فروع قبائل بني ياس والقبائل المتحالفة معها، وعلى رأسها العوامر والمناصير، وكان ذلك التضامن يعد أكثر قوة ومتانة مما هو بين قبائل الإمارات الأخرى.[٦٨]

وظل العوامر يمثلون الحلفاء التقليديين لبني ياس، وتبين فراوكة هاي-بيرد، وهي المؤرخة التي تعتبر من نخبة الخبراء في قبائل أبوظبي وتاريخ الإمارة قبل تأسيس الاتحاد، مدى العلاقة التي كانت تربط العوامر بحكام آل نهيان، وذلك من خلال إيجاز فراوكة للمخاطبة التي تمت بين تميمة النعيم سلطان بن محمد آل حمود وأحمد بن هلال تميمة الظواهر وإلى الشيخ خليفة في واحة البريمي، وذلك عام ١٨٩٥م، إذ يقول آل حمود في خطابه لوالي الشيخ خليفة:

«لم نتمكن من القيام بأي شيء ضدهم (أي العوامر) لأن مصالحنا ومصالحكم واحدة، نرجو إبلاغنا بما تقررونه لأنهم معكم»[٦٩]. حيث يستدل من كلمة (معكم) على متانة العلاقة التي كانت تربط العوامر بآل نهيان، وعلى قوة الحصانة التي كانت تخلقها هذه العلاقة للعوامر أمام الآخرين.

أما بكماستر فيتحدث عن هذه العلاقة، ويصفها في وثيقته بالقول:

«أما سالم بن حم، شيخ القبيلة، فهو أحد أصدقاء زايد الشخصيين والقريبين منه... والمعروف أن مشكلات العوامر الرئيسة في ليوا تحال إلى شيوخ آل بوفلاح أو ممثلهم في ليوا. وقد عمل الشيخ هزاع في عام ١٩٥٠م، على معالجة إحدى هذه القضايا الكبرى، ولكن أكثر نزاعات هذه القبيلة يترك أمر حلها، ما أمكن، إلى كبارهم ليحكموا فيها».[٧٠]

وكان لجهود الشيخ زايد ومعه تميمة العوامر الشيخ سالم بن حم الدور الحاسم في إنهاء حالة العداء والصراعات التي كانت قائمة بين العوامر والدروع، حيث عاش العوامر عداء مستعراً أمداً طويلاً خلال الأربعينيات من القرن الماضي، ولم تهدأ نيران الحرب المكشوفة إلا على يد بن حم الذي أنهى الحرب مع الدروع بسلسلة من الهدنات السنوية منذ عام ١٩٥٥م، إلى أن أمكن التوصل إلى صلح نهائي بين الطرفين في عام ١٩٦٠م، نتيجة الوساطة التي قام بها الشيخ زايد بن سلطان.[٧١]

لقد سعى الشيخ زايد بجولاته التفتيشية المكثفة إلى بناء علاقة من الثقة والوئام مع أبناء القبائل من شعبه إلى أن أصبحت كلمته واسمه محل الاحترام والتقدير الكبيرين، وقد تحقق له ذلك حيث كان من عادته أن يقضي كثيراً من وقته كل شتاء في منطقة الختم لحل الخلافات بين القبائل البدوية التي كانت تتردد إلى تلك المنطقة، ولا سيما جماعة العوامر بزعامة بن حم، وقد خضعوا خضوعاً مطلقاً لسلطة الشيخ زايد، وكانوا يقبلون قراراته دون جدال، وجعل هذا التحول «الشيخ زايد» يشعر بالفخر لتلك المناقب.[٧٢]

حب زايد للبدو وللعوامر وشعرائهم

كما يقول ثيسجر إن من يعيش مع البدو يجب أن يتقبل تقاليدهم وعاداتهم ومستوى معيشتهم[٧٣]، فقد كانت قبيلة العوامر من القبائل البدوية التي أحبها الشيخ زايد، ليس فقط لأنها من القبائل البدوية التي يحبها من يخالط أهلها، بل لأنها عاشت معه سنوات طيلة، وعايشت رحلة نهضته المشهودة في واحة البريمي.. وكما قرَّب منه رجالاتها وجعل تميمة العوامر سالم بن حم من أقرب مستشاريه ورفاق مسيرته، فقد أحب كذلك شعراءها. ويتحدث عن ذلك راشد النعيمي في أول كتاب كُتب عن الاتحاد عام ١٩٧٢م، فيقول:

«زايد يحب البدو.. وهم يحبونه.. يعرف تقاليدهم ويعشقها. وهذا الحب لحياة البدو والصحراء.. جاء من خلال حكمه لمدينة العين والمنطقة الشرقية ما يقرب من عشرين عاماً.. هناك عاش مع البدو كواحد أصيل منهم.. يكاد يعرف كل الأفراد في كل قبيلة.. يحب حياتهم.. وأشعارهم.. وأمسياتهم.. وكان يستعين بالقبائل في بناء المشروعات.. وأهم تلك المشروعات التي أقامها بمساعدة العوامر الفلج الذي أقامه في العين».[٧٤]

وفي واحة البريمي تعيش قبيلة العوامر التي أحبها زايد.. وعاش معها سنوات. وكان يهوى أشعار هذه القبيلة. وكان من أحب شعراء هذه القبيلة إلى قلبه الشاعر «ابن ظاهر»، وهو شاعر بدوي عاش منذ أكثر من مئة سنة، وسكن في بلدة الساعدي في إمارة رأس الخيمة، وكان يمدح بني هلال.[٧٥]

ويذكر النعيمي أبياتاً من أجمل أشعار ابن ظاهر التي كان الشيخ زايد يحفظها، وهي تصف حال الدنيا وتقلباتها، وأن الإنسان فانٍ غير مُخلَّد فيها، فيقول[٧٦]:

الـــنـــاس تـــدري المـــوت حـــق لازم
لـكـــن مـــا تـــدري حـــتـــى يـــوحـــا الهـــا
والآخـــــــرة لازم وخـــير مـــا لـدنـا
يـــوم المـــلا مـشـتـغـلـة بـأحـوالهـا
شـاجـيـين فـيـهـا والـشـقـا ضـد الـتـقـى
ولا ذاك إلا الـصـالحـات أبـقـا لهـا
يـــوم الخـــلايـــج شـاخـصـين أبـصـارهـا
عـــرى الـنـيـوب حـريـمـهـا وريـالهـا
مـــا يـــرتجـــون إلا الـشـفـيـع محـمـد
والـعـفـو مـن رب يـــروف بـحـالهـا

العوامر والأفلاج والتنمية في العين

تمثل الأفلاج نظاماً هندسياً للاستفادة من المياه الجوفية تتوارثها الأجيال منذ مئات السنين، وعليها قامت الحياة، وحيث وُجدت استقر المقام، وقد برع أهل الإمارات الأقدمون وتفننوا، رغم إمكاناتهم البسيطة، في ابتكار الأفلاج التي برهنت على حسهم الهندسي، وكان لهذه الطريقة نصيبها الوافر من الوجود في منطقة العين منذ قرون عدة سبقت الميلاد، مما ربط المنطقة بالزراعة منذ القدم، وأكسبها مع موقعها الجغرافي بعداً استراتيجياً زاد من أهميتها وعظَّم من قيمة الزراعة فيها، حتى جاء إلى العين الشيخ زايد فاستعان بالعوامر المتخصصين بالأفلاج، وغدت الأفلاج

جذوة لمشروع حضاري جديد، حقق العدالة الاجتماعية، وأظهر بين الأهالي كل صفات التلاحم والتعاون والتكافل الاجتماعي، فخلق تجربة اجتماعية وتاريخية لا تنسى.

وقد لعبت الأفلاج في العين أدواراً مهمة في حياة أهل العين، واحتلت أهمية خاصة لدى حكام آل نهيان، وبخاصة إبان تحمل الشيخ زايد بن سلطان لمسؤولياته ممثلاً للحاكم في مدينة العين. وارتبطت هذه الأفلاج بدور خاص برع به العوامر في حفرها، وبالعبقرية الفائقة والمهارة الهندسية التي أبرزوا معها إلى الوجود تلك الأفلاج التي مازالت آثارها والمياه المتدفقة في بعضها شاهدة على تلك المرحلة التاريخية الهامة من عمر العين حتى اليوم. وهي التي نهضت مؤخراً بالدور الكبير في إدراج مدينة العين في قائمة التراث العالمي الإنساني لمنظمة اليونسكو في يونيو عام ٢٠١١م.[٧٧]

فالأفلاج التي حظيت في مدينة العين بشكل خاص باهتمام كبير وعناية فائقة، على الرغم من أن أغلبها اندثر بفعل عامل الزمن، فإن أهم ما بقي منها هو شاهد على تراث أصيل كأسطورة حية في قلب الصحراء، إذ تعدت أفلاج العين بكثير كونها سبيلاً للحصول على مصادر المياه التي يجب أن يعمل لها حساب فحسب، لتجسّد رمزاً تراثياً ربط الحاضر بالماضي ووصل القريب بالبعيد، ولتلقي بعضاً من الضوء على تطور المجتمع فوق هذه الواحة الهامة واكتساب نسيجه صفات خاصة، كذلك لتبرز قدرة الإنسان على قهر الظروف الصعبة وابتكار الطرق الذكية، إذا ما توفرت العزيمة القوية والإرادة الصلبة والرؤية الحكيمة، وكذلك المهارة الفائقة والخبرة اللازمة والشجاعة الكافية، إذ باجتماعها بُثَّت في قلب الصخر شرايين الحياة.

العوامر وأفلاج العين

عبَّر كل الذين كتبوا عن أفلاج العين والذين عايشوا حفرها أو عاصروا فعلها عن انبهارهم بها بوصْفها عملاً هندسياً فريداً، فيه تتجلى لدى محترفيه البراعة والدقة والشجاعة والصبر الشديد، ومعه تتأكد قدرة الإنسان على إخضاع البيئة لتحقيق طموحاته في توفير المياه بإعجاز هندسي، فالأفلاج عمل فني دقيق يشهد له جميع الخبراء الذين زاروا المنطقة ودرسوا هذا النظام، كما يقول مانع سعيد العتيبة في حديثه عن وسائل الري في أبوظبي.[٧٨]

ولشهرة العوامر بحفر الأفلاج وارتباط اسمهم بذلك، وبخاصة بأفلاج العين، فقد قرَّب الشيخ زايد هؤلاء العوامر منه واهتم بهم. وتقول جوينتي مايترا في كتابها «زايد من التحدي إلى الاتحاد» وهي تصف تصميم زايد على إحياء مصادر المياه في العين:

«إنه من أجل إنجاح جهوده في ترميم الأفلاج وتنظيفها وبنائها، جلب الشيخ زايد مجموعة من رجال قبيلة العوامر من قراهم وسط عمان، ممن اشتهروا بمعرفتهم بالأفلاج وقدرتهم على تقصي أثر الماء في الأرض واكتشاف مواقعها».[٧٩]

وبدأ الشيخ زايد العمل مع قبيلة العوامر في بناء فلج الصاروج الذي كلف الكثير من الجهد والوقت. فقد تطلب حفر نفق طويل يبلغ ١٥ كيلومتراً، في حين بلغ أقصى عمق ٢٢ متراً تحت سطح الأرض. وهو بمنتهى الدقة في الهندسة والتصميم، حيث بدأ العمل فيه منذ عام ١٩٤٨م، واستغرق بناؤه حوالي ١٨ عاماً من الجهد الشاق والعمل المستمر[٨٠]. ولشدة اهتمامه بهذا الأمر، كان الشيخ زايد يتابع عملهم خطوة بخطوة. وكان يشرف عليهم بنفسه، كما يقول أحمد بن محمود السكرتير الخاص للشيخ زايد الذي رافقه في تلك الفترة، وكان ينزل بنفسه

إلى البئر ليرى مدى صلاحيتها رغم خطورة النزول إليها.[٨١]

ويعتبر العوامر من المختصين والحاذقين في إنشاء وبناء الآبار والأفلاج في مختلف أجزاء عمان ومنطقة العين. وارتبط اسمهم بهذا الفن نظراً لشهرتهم الفائقة في بنائها والعمل على صيانتها وكشف المياه الجاريه تحت الأرض منذ الأزمنه القديمة وحتى الوقت الحاضر دون الاستعانه بالأجهزه الحديثه، فامتهنوا هذا الفن على مر العصور، وفاقوا غيرهم فناً ومهارة في هذا المجال. فهم توارثوا الخبرة والدراية بمعرفة منابع وعيون الماء، التي تسمى أمهات الأفلاج، ومواطن المياه أسفل الأرض عن طريق الفراسة والحدس، بالإضافة إلى خبرتهم الواسعة في قص الحجر وشق الصخور والجبال والقدرة العالية على تحمل أصعب الظروف أسفل الأرض.[٨٢]

فإلى جانب المقدرة على العمل اليدوي يتمتع العوامر بكفاءة في معرفة أمارات الينابيع تحت الأرض، وفي توسيع واكتشاف مجاري الماء المعروفة تحت الأرض ليزيدوا جريان الماء إلى الفلج إلى الحد الأقصى. ويعظم مقدار مهاراتهم إذا علمنا ضعف وسائل الإضاءة التي كانت مستخدمة تحت الأرض، فقد كانوا يستخدمون مصابيح زيتية لها علب ذات فتائل. ومما له أهمية كذلك مقدرة العوامر على توجيه مسارات المجاري ليلتقي بعضها مع بعض.[٨٣]

ويكاد العوامر ينفردون باستعدادهم للقيام بهذا العمل الذي يستدعي استعمال المطرقة والإزميل، فمن أهم مظاهر مهارة العامري قدرته على أن يستعمل المطرقة والإزميل بهندسة فائقة ضمن مساحة محدودة جداً، وأن يمدد بهذه الطريقة نفقاً يكون من الضيق بحيث يحتاج الإنسان أن يندس فيه زحفاً على جنبه[٨٤]. وقد اضطلعت قبيلة العوامر بالدور الكبير في صيانة وحفر الأفلاج في العين منذ تولي الشيخ زايد حكم منطقة العين، وقام العوامر ببناء وتوسيع ما يقارب ٨٠٪ من أفلاج العين وعمان.[٨٥]

ونظراً لما كانت تشكله الأفلاج من إعجاز في منطقة صخرية نائية عن مظاهر الحضارة الحديثة، فقد كان يشاع العديد من القصص المثيرة حول الأفلاج في مدينة العين، بحيث تختلط فيها الأساطير بالحقائق، فمن الأقوال التي كانت شائعة إن هذه الأفلاج حفرت في عهد سليمان الحكيم، الذي سيطر على الجان فسخرهم لحفر هذه القنوات![٨٦]

الأفلاج والنظام الاجتماعي في العين

مثلت الأفلاج في عهد الشيخ زايد بن سلطان نقلة لحياة جديدة أساسها العدالة الاجتماعية، وبعثت الأمل في آفاق واسعة من النهوض والتطور والحياة المزدهرة؛ فمع الأفلاج انطلق تحرير سقاية الأرض العطشى من السيطرة والاستغلال، وإحقاق العدل في اقتسام خيرات الله، وانطلقت معها بواكير الأمل بقدوم زعيم فذ، كما يبين حمدي تمام، إذ يقول: «توافرت في شخصيته كافة العناصر الأساسية التي تستند إليها الزعامة، وفي مقدمتها على الإطلاق العدل بين الناس، ورعاية مصالح الأغلبية العظمى، والتشدد إزاء كل من يحاول استغلال المواطن البسيط، والتصدي لأية محاولة تستهدف إلحاق الضرر بالمجتمع.»[٨٧]

وقد اعتبر عبدالله النعيمي، وهو يشير إلى دور قبيلة العوامر في الوقوف إلى جانب الشيخ زايد في حفر الأفلاج، أن الأفلاج مثلت حينها أكثر مقومات الإصلاح الزراعي الذي بدأه في المنطقة الشرقية منذ أصبح ممثلاً للحاكم في مدينة العين[٨٨]. ورأى عوض العرشاني أن الأفلاج كانت أساس الاهتمام بالزراعة التي اعتبرت مفتاح الشروع بالإصلاح الذي اختاره الشيخ زايد لمواجهة المشاكل الكثيرة التي كانت قد تراكمت في حياة الأهالي الاقتصادية والاجتماعية في العين.[٨٩]

يرتبط المعنى اللغوي لكلمة فلج في اللغات السامية بمعنى التقسيم والمشاركة، والمجرى المائي، فالإفلاج تعني التقسيم، وكذلك شق الأرض للزراعة، والفَلَج والفُلجَة تعنيان النهر الصغير، والفُلُج هي القناة تروي جميع البستان، فيما الفَلَج تعني الماء الجاري من العين ونحوه(٩٠). ويمكن القول إن كلمة فلج في واقع تاريخها في العين تحمل مجمل المعاني الآنفة الذكر، وهي تعني اصطلاحاً شاملاً لنظام ري قديم يقوم على توزيع المياه بعدالة بين أولئك الذين لهم مصلحة فيه، من هنا فقد ارتبطت الأفلاج في حياة أهل العين بأنماط معينة من المجتمعات التي غلب عليها التشارك في الاستفادة من مياه الأفلاج واقتسام الانتفاع بها، وتَحَدَّد المعنى أكثر في عهود آخر الأفلاج التي كان للشيخ زايد الفضل في التوجيه ببنائها أو ترميمها، وهو الذي أشاع مياه الأفلاج وجعلها حقاً لكل الناس. وتساوى في الارتواء منها نحو ربع مليون نخلة.(٩١)

فثمة مشروع حضاري جديد شهدته العين مع الأفلاج في عهد الشيخ زايد، أساسه المادي الأفلاج التي انتشرت تروي الشجر والبشر، ومحركه العلاقات الاجتماعية التي نسجت مجتمع أهل العين، حيث انعتقت هذه العلاقات من عقالها مع انعتاق مياه الأفلاج من احتكار الأغنياء لمعظمها، وغلبت على حياة أهل العين صفات التلاحم والتآخي والعمل المشترك المستند إلى الإيمان بمنفعة عامة تمثل عصب الحياة بالنسبة لهم. فقد وضع نظام الري بالأفلاج بصمات خاصة على المجتمع في منطقة العين، زاد من خصوصيتها أن مصالح السكان فيها كانت معزولة عن المناطق الأخرى في الصحراء المحيطة بهم، مما جعلها تعتمد اعتماداً كبيراً على المياه الآتية عبر الأفلاج، وشكل تنظيماً اجتماعياً مختلفاً عن بقية المدن الأخرى في الإمارات تمام الاختلاف.(٩٢)

لم يكتفِ الشيخ زايد بأن ألغى تجارة الماء فحسب، حين قال قولته الحاسمة: «إن مياه الأفلاج الآتية من جوف الأرض هي من حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض»(٩٣)،

بل حرص على المشاركة في حفر الأفلاج في العين، وبخاصة فلج الصاروج الذي استغرق حفره سنوات طويلة، وشكلت تجربة مشاركته حافزاً قوياً لمشاركة الناس معه في حفر الأفلاج، فكانت تجربة اجتماعية وتاريخية لا تنسى، عظَّمت الآمال في نفوس الأهالي بالخير المرتقب الذي يُعد عصب حياتهم، كما عززت من عزائمهم وهممهم في التعاون والمشاركة بمختلف أنواعها وأحجامها للجديد الذي حمله إليهم الشيخ زايد مع مياه الأفلاج المرتقبة، وأحيت لديهم من جديد عاداتهم وطقوسهم المرتبطة بالأفلاج.

لقد مثَّل نظام الأفلاج في العين منظومة اجتماعية واقتصادية ناجحة، وساعد العدل في توزيع مياه الأفلاج في بناء مجتمع متماسك، فزرع روح التعاون وعززها، وأسس لنظام إداري متكامل يتولى مسؤولية الفلج، ويفض الخلافات والنزاعات بين الأفراد المتصلة بحصص المياه وفق أسس سلمية متفق عليها، كما ساعد على تطوير المهارات الحرفية والزراعية لدى الأفراد، وأدى إلى توفير مصدر رزق تعيش عليه الأسر.[٩٤]

قصة الأفلاج في العين في كل تداخلاتها وتطوراتها وثمارها التي أتاحها الشيخ زايد لكل مخلوق حي يتنفس هواء العين، يلخصها من صاحَبَ قائد حملة الأفلاج وراعيها، ورافقه المسيرة خطوة بخطوة، ووقف معه على جهود العوامر الذين هندسوا هذه الأفلاج ونفذوها، تميمة العوامر الشيخ سالم بن حم، إذ يقول في ذلك:

«إن من أهم المسائل التي كان زايد يوليها اهتمامه الأول مسألة توفير المياه، حيث إن شح المياه وقلة مصادرها وندرتها وما يتبعها من مشاكل بين الأهالي كانت الهاجس الأول عند زايد، فبادر إلى عمل كل ما في وسعه ليجعل الماء ينساب بوفرة، وبدأ بإصلاح الأفلاج القديمة المهملة، واهتم بحفر المزيد من الأفلاج الجديدة لتفي بالغرض المطلوب.

وقد كان فلج «الصاروج» أولها والذي استوجب حفره جهداً كبيراً وسنوات عديدة كان خلالها زايد أول المشاركين بالحفر، وضحى بوقته واقفاً بيننا، ولم يبخل بماله وأفكاره وتعليماته ليرشدنا إلى المسار الصحيح للفلج، وتكللت أعماله بالنجاح، وتدفقت المياه غزيرة من فلج الصاروج وغيره من الأفلاج لينساب الماء عبر السواقي بين المزارع ويصل إلى القاصي والداني، الغني والفقير، ومن هنا بدأت الخضرة والحياة تدب كما لم تكن من قبل مؤذنة ببداية عهد جديد مع الخصب والنماء».(٩٥)

هوامش الفصل الثالث

١. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بقوة الاتحاد : صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان القائد والدولة، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٥٩. وانظر كذلك هوامش المرجع نفسه، ص٣٢٨.

٢. جي. بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (د.ت)، ص٦٩.

٣. ويلفرد ثيسجر، الرمال العربية، دبي: موتيفيت للنشر، ط٨، ٢٠١٠م، ص٦١.

٤. محمد فارس الفارس، رحالة وسياسيون زاروا الإمارات والخليج قبل النفط، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢م، ص ص ٨٨-٨٩.

٥. محمد سليمان الطيب، قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة: عن أنسابها وفروعها وديارها وأعلامها، المملكة العربية السعودية، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، ص ص ٧٨-٧٩.

٦. المرجع السابق نفسه، ص٣٦٥.

٧. المرجع السابق نفسه، ص٢٧.

٨. المرجع السابق نفسه، ص ص ٣٦٥-٣٦٧.

٩. علاء نورس، سالم بن حم: ذاكرة تاريخ.. وتجربة حياة، (د. ن)، ط١، ٢٠٠٩م، ص ص ٢٥-٢٧.

١٠. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.

١١. شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة..دراسة في الجغرافية الاجتماعية، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م، ص ٤٢.

١٢. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص٢٨.

١٣. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٢.

١٤. فراوكة هيرد - باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي: مجموعة موتيفيت للنشر، ٢٠٠٧م، ص٤٠.

١٥. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٦٩.

١٦. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص٦٠.

١٧. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، الخريطة القبلية لإمارة أبوظبي، مجلة ليوا، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، العدد١٣، يناير ٢٠٠٥م، ص ص٥٣-٥٤.

١٨. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٦٨، نقلا عن ولفرد ثيسجر، «حدود عمان الصحراوية»، مقال في المجلة الجغرافية، عدد١٦، ص١٤١.

١٩. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص١٥١.

٢٠. المرجع السابق نفسه، ص١٥٤.

٢١. المرجع السابق نفسه، ص٢١٦.

٢٢. المرجع السابق نفسه، ص٢٨٢.

٢٣. محمد فارس الفارس، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٥.

٢٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٨٨-٨٩.

٢٥. محمد سليمان الطيب، مرجع سبق ذكره، ص٣٦٦.

٢٦. المرجع السابق نفسه، ص ص٧٨-٧٩.

٢٧. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٦٧.

٢٨. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

٢٩. علي بن شداد آل ناصر، الذخيرة في مشجرات وأنساب قبائل الجزيرة، الدوحة: المؤلف، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥٩. وانظر كذلك: حمدي تمام، مرجع سبق ذكره، ص ٧٢.

٣٠. محمد فارس الفارس، مرجع سبق ذكره، ص ص٨٨-٨٩.

٣١. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٣.

٣٢. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

٣٣. محمد فارس الفارس، مرجع سبق ذكره، ص ص٨٨-٨٩.

٣٤. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص٢١٧.

٣٥. محمد سليمان الطيب، مرجع سبق ذكره، ص٩٧.

٣٦. فراوكة هيرد – باي، مرجع سبق ذكره، ص٤٠.

٣٧. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

٣٨. المرجع السابق نفسه، ص٥٥.

٣٩. موقع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم. www.sheikhmohammed.com

٤٠. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

٤١. المرجع السابق نفسه، ص٥٧.

٤٢. المرجع السابق نفسه، ص٥٠.

٤٣. المرجع السابق نفسه، ص ص٥٠-٥١.

٤٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٤٢-٥٣.

٤٥. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص٤٢.

٤٦. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٥٣.

٤٧. محمد سليمان الطيب، مرجع سبق ذكره، ص٣١٨.

٤٨. فراوكة هيرد – باي، مرجع سبق ذكره، ص٤٦.

٤٩. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

٥٠. المرجع السابق نفسه، ص٥٤.

٥١. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص٥٦.

٥٢. المرجع السابق نفسه، ص٥٧.

٥٣. علاء الدين نورس، مرجع سبق ذكره، ص٢٧.

٥٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٢٦-٢٧.

٥٥. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٧٠.

٥٦. فراوكة هيرد – باي، مرجع سبق ذكره، ص٤٠.

٥٧. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٣٥٠.

٥٨. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

٥٩. المرجع السابق نفسه، ص٥٥.

٦٠. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص٣٩٩.

٦١. المرجع السابق نفسه، ص٧٠، نقلاً عن ثيسجر.

٦٢. فراوكة هيرد - باي، مرجع سبق ذكره، ص٥٠.

٦٣. جوينتي مايترا وعفراء الحجي، قصر الحصن: تاريخ حكام أبوظبي ١٧٩٣-١٩٦٦م، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، ط٣، ٢٠٠٤م، ص١٠٥.

٦٤. حمدي تمام، مرجع سبق ذكره، ص ص٢٧-٢٨.

٦٥. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.

٦٦. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص٢٨٢.

٦٧. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

٦٨. شاكر خصباك، مرجع سبق ذكره، ص١٧٤.

٦٩. فراوكة هيرد - باي، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

٧٠. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص٥٥.

٧١. جي. بي. كيلي، مرجع سبق ذكره، ص ص٦٩-٧١.

٧٢. جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، أبوظبي: مركز الوثائق و البحوث، ٢٠٠٧م، ص١٦.

٧٣. ويلفرد ثيسجر، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦.

٧٤. راشد عبدالله النعيمي، زايـــد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار كتّاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٢م، ص ص٢٠-٢١.

٧٥. المرجع السابق نفسه، ص ص٢٠-٢١.

٧٦. المرجع السابق نفسه، ص٢١.

٧٧. أفلاج جزيرة العرب، مجلة ناشونال جيوغرافيك العربية، مج٨، عدد٣١، إبريل ٢٠١٣م، ص ص٦٤-٧٥.

٧٨. مانع سعيد العتيبة، اقتصاديات أبوظبي قديما وحديثا، (د. ن)، ط١، ١٩٧١م، ص٥٦.

٧٩. جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

٨٠. حمدي نصر، الأفلاج أقدم تكنولوجيا للري، مجلة تراث، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، عدد٣، فبراير ١٩٩٩م، ص ص٢٠-٢٣.

٨١. محمد فارس الفارس، من إنجازات زايد في العين: بوادر النهوض بالإنسان والمكان، مجلة ليوا، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، عدد١٣، يناير، ٢٠٠٥م، ص ص ٢٦-٣٣.

٨٢. جريدة الخليج، ١٠/٠٧/٢٠٠٩م.

٨٣. جي. إس. بيركس وسالي. آي. ليتس، العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عمان الداخلية، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢م، ص١٤.

٨٤. المرجع السابق نفسه، ص ص١٣-١٥.

٨٥. أحمد علي مراد، الأفلاج في مدينة العين، الموقع الرسمي لديوان ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية www.erd.ae.

٨٦. سليم زبال، كنت شاهدا.. رحلة العبور من مشيخات متناثرة إلى دولة اتحادية متماسكة، أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١م، ص٢٢٧.

٨٧. حمدي تمام، مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

٨٨. راشد عبدالله النعيمي، مرجع سبق ذكره، ص٤١.

٨٩. عوض العرشاني، حياة زايد: الفارس الذي قهر الصحراء، أبوظبي: دار الفجر، ط١، ١٩٨٠م، ص١١٢.

٩٠. أنظر المعاجم: ١- المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم أنيس وآخرون بمجمع اللغة العربية، ج٢، استانبول: المكتبة الإسلامية، ص٦٩٩. ٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣م، ص٢٥٨. ٣- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،

كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ج٦، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، ١٩٨٦م، ص ص١٢٧-١٢٨.

٩١. أحمد علي مراد، مرجع سبق ذكره.

٩٢. إبراهيم عطا الله البلوشي، من تاريخ المدن في دولة الإمارات العربية المتحدة.. مدينة العين، مجلة التاريخ العربي، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، عدد١٩، صيف ٢٠٠١م، ص ص٧-٣٨.

٩٣. سالم بن حم، رحلتي مع زايد..حديث الذاكرة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩٩م، ص٥٨.

٩٤. أحمد علي مراد، مرجع سبق ذكره.

٩٥. شيخة الغاوي، زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن، أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ط١، ٢٠١٢م، ص١٠٤. وانظر كذلك سالم بن حم، مرجع سبق ذكره، ص٥٦.

الفصل الرابع

الشيخ سالم بن حم العامري

طفولة بن حم وظروف نشأته

الشيخ سالم بن مسلم بن حم أحد رجالات الإمارات المخلصين، وهو شيخ قبيلة مخلص لقبيلته، ومن رفاق زايد الأوفياء، فقد رافق منذ صباه المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، شهد معه قسوة الماضي وعظمة الحاضر، فعاصر حكم المغفور له منذ كان ممثلاً للحاكم في مدينة العين حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو على رأس الدولة، عايش معه مسيرة ملآى بالتطورات والأحداث التي شهدتها الدولة والمنطقة خلال مرحلة التحولات الكبرى التي سبقت قيام دولة الاتحاد وأعقبته.

ولد الشيخ سالم بن حم عام ١٩٢٥م، في منطقة الصفا جنوبي الوجن الواقعة في المنطقة الشرقية لإمارة أبو ظبي، وقد نشأ يتيماً حيث توفي والده الشيخ مسلم بن حم العامري عام ١٩٢٧م، وهو لم يزل طفلاً، وكان لمواقف والده الدور الكبير في استتباب الأمن والاستقرار في العين وأبوظبي خلال العقود الأولى من القرن الماضي، إذ كانت تربطه علاقات متميزة ووشائج قوية بشيوخ آل نهيان، شأنه في ذلك شأن معظم شيوخ العوامر الذين عاصروا حكام آل نهيان، فقد عُرف عن عم سالم بن حم الشيخ محمد بن حم رفقته القوية للمغفور له الشيخ زايد الأول، وشاعريته المشهودة وقصائده التي شكلت ديواناً يؤرخ لحقبة من تاريخ الإمارات امتدت حتى وفاته عام ١٩٤٠م.[١]

لم تترك والدة سالم بن حم لليتم أن يضعف من عزيمة ابنها على اجتياز العثرات وتحدي العقبات أو يضعف من إيمانه بالله وتحليه بالصبر، بل أحسنت تربيته وجهدت في تنشئته، فغرست فيه الصبر والجلد والقدرة على تحمل الصعاب، وقوَّت من عزيمته على مواجهة قسوة الحياة في بيئة كان لا يغلب قساوتها وقفرها إلا إيمان أهلها وصلابة عزائمهم على التحدي. شبَّ

بن حم على تلك التنشئة، وتزوج فأنجب من الأولاد: مسلم، محمد، حمد، مبارك، سهيل، عبد الله، وسعيد.[٢]

ويقول بن حم عن طفولته:

« طفولتي لم تكن تختلف عن طفولة أقراني الذين نشأوا وترعرعوا في ظل الظروف البيئية والمعيشية الصعبة التي كانت تسود المنطقة آنذاك.. لم تكن هناك طفولة بالمعنى الصحيح، فظروف الحياة بمعطياتها في ذلك الحين أضفت علينا منذ نعومة أظفارنا نوعاً من الخشونة والقدرة على التكيف والمثابرة والتحلي بقدر من الإرادة والعزيمة القوية وروح المبادرة والتحدي، وجميعها في الواقع من المآثر التي أخذناها كجيل من آبائنا وأجدادنا الذين كانت حياتهم بطبيعة الحال أكثر صعوبة وقسوة. أما بالنسبة لترتيبي بين أفراد الأسرة فقد كنت الثاني، وتكبرني شقيقتي موزة «رحمها الله» وقد توفيت عام ٢٠٠٦م.. كنت شغوفاً إلى درجة كبيرة بقصص الشجاعة والبطولة التي كنت أسمعها وأنا طفل عن أولئك الرجال الذين كانوا يدفعون حياتهم ثمناً للذوذ عن ديارهم وأهلهم».[٣]

عرف بن حم بذكائه الفطري وبحنكته وسعة اطلاعه، مما جعله من أصحاب الخبرة والدراية ببواطن الأمور، والقدرة على التعامل مع القضايا والمشكلات بحكمة وتدبر، فامتلك الكفاءة اللازمة للفصل بين المتخاصمين الذين يلجأون إليه ويرضون به حكماً لاقتناعهم بصواب رؤيته ورأيه. وكان بن حم من حكماء القوم وعقلائه بين شيوخ البدو وزعماء القبائل، وكان كذلك من أهل الدراية بالأعراف القبلية والعادات والتقاليد، واختاره الشيخ زايد ليكون من ضمن المجلس القبلي الذي أسسه، ومن البطانة الصالحة التي أحاطت به «طيب الله ثراه»، وبادَلَته حباً بحب.[٤]

ويتحدث بن حم عن دوره في مجلس شورى الشيخ زايد الذي كان يضم شيوخ القبائل وزعماءها، وجسَّد التزام الشيخ زايد بمبدأ الشورى منذ بدايات مشاركته في تحمل مسؤوليات الحكم، فيقول:

« لقد كان الشيخ زايد كما عرفناه وعرفه الجميع يتمتع بالحكمة والرؤية الثاقبة، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال القدرة الفائقة والحرص الشديد على تصفية الأجواء بين القبائل وإعادة الوئام والأمان إليها مما كان له بالغ الأثر في تحقيق عنصر الأمن والاستقرار في المجتمع. فقد أسس زايد مجلساً للشورى من شيوخ وزعماء هذه القبائل الذين أحاطوا به وبادلوه حباً بحب، بطانة صالحة تجسيداً لما عرف عنه «رحمه الله» من احترام لمبدأ الشورى، يتبادل معهم الرأي والمشورة في كثير من شؤون القبائل والأمور الأخرى التي تدخل في صلب العمل الوطني. وبحكم قربي منه كنت أحد الذين حازوا هذه الثقة الغالية وهذا الشرف الكبير، وذلك بتكليفي ببعض الأمور والمهام التي تدخل في صلب العمل الوطني والتي أنجزناها بفضل المولى عز وجل أولاً، ثم بفضل الشيخ زايد ورؤيته الثاقبة وتوجيهاته السديدة بنجاح كبير.

واهتم زايد بهذا المجلس ووفر له كل ما يجعله يقوم بعمله كأحسن ما يكون. وفي هذا الإطار قال زايد: «ولسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أسس حياتنا وإلى الأبد، أنا أتطلع إلى المستقبل عندما يأتي الأبناء ويستمرون في تطبيق هذا المبدأ بما يتلاءم وحياتهم وعصرهم ونظمهم».(٥)

يصف خليفة بن سالم بن حاسوم الدرمكي الشيخ سالم بن حم بأنه من أبرز الرجال الذين كانوا يقدمون المشورة للشيخ زايد، ويعد من أشهر رجال العين، ويذكر من هؤلاء الرجال، إلى

جانب بن حم، عبد الجليل الفهيم، عبدالله بن أحمد العتيبة، مبارك بن قران المنصوري، وغيرهم، ويقول الدرمكي:

« لقد كان الشيخ زايد يستمع إليهم، ويستشيرهم في كثير من الأمور، وكانوا يقدمون المشورة خالصة لوجه الله، وكان الشيخ زايد يميز، بحكمته وفراسته، بين المخلص وصاحب الغرض».[٦]

صور من رفقة بن حم للشيخ زايد

اكتسب بن حم من خلال رفقته الطويلة للمغفور له الشيخ زايد خبرة ومعرفة واسعة بأحداث المنطقة وتطوراتها المتلاحقة، ومع حب زايد له وتقريبه منه، حظي بثقته «طيب الله ثراه»، فأوكل إليه العديد من المهام التي تدخل في صلب العمل الوطني، والتي كان يقوم بها على الوجه الأكمل نظراً لعلاقته المتميزة بشيوخ وأبناء القبائل المختلفة في أبوظبي والعين ومختلف مناطق الدولة.

كما اكتسب من رفقته بالشيخ زايد مرتكزات أساسية في بنائه الشخصي وفي تجربته الحياتية التي استلهمت ما صنعه الشيخ زايد بصبر وحكمة وتحد، فقد شهد معه الكثير من الأحداث والوقائع والتطورات والمتغيرات، وفي كل مسارات حياته كان يتعمق في فهم آفاق تفكير وإرادة وعزم معلمه ورفيقه، ويتأمل حنكته وفطنته وحكمته، وكيفية مواجهته للمعضلات وقراءته للواقع وتطلعاته للمستقبل.[٧]

ويتحدث بن حم عن اهتمامات الشيخ زايد منذ صغره، حيث كانت تنهل من أصالة التراث وترمي إلى آفاق المستقبل الذي تبدَّت رحابته لاحقاً، إذ يقول:

«كنا مع زايد أصدقاء «رباعة»...لقد كان منذ صغره مولعاً بركوب الخيل، ويذهب إلى القنص وهو صائم. وكان كثيراً ما يهتم بسماع سير الأجداد وبطولاتهم التاريخية، في الذود عن محارمهم وأوطانهم، وشغوفاً بمعرفة كل ما يتعلق بتاريخ المنطقة وبالقبائل وأصولها، ويحب مجالسة كبار السن للأخذ من علومهم وتجاربهم في الحياة».[٨]

في أحد الأيام سأل أحد الصحفيين البريطانيين الشيخ سالم بن حم حينما كان مرافقاً للمغفور له الشيخ زايد في إحدى رحلاته الخارجية، في أي مدرسة درست؟ أجابه على الفور وبذكاء البدوي الفطري: «درست في مدرسة زايد، وما زلت طالباً العلم والمعرفة فيها إلى يومنا هذا».[٩]

يقول الشيخ سالم بن حم عن الصداقة القوية التي كانت تربطه بالشيخ زايد «طيب الله ثراه»:

«لم تكن بيننا أي أسرار طوال السنوات التي عشناها معاً؛ ما في شي بيننا خافي.. فدائماً كانت الصراحة طريقنا وأسلوب حديثنا، فكل واحد يخبر الثاني عما في خاطره، دون أي حرج، وهذا معروف للجميع، وهذا هو أساس الصداقة القوية، وهذا أيضاً ما جعلني خبيراً بحاله، أعرفه من كلامه إذا كان شي في خاطره، فرحان أم زعلان، مجرد ما أشوفه وأكلمه أعرفه».[١٠]

أسهم بن حم كثيراً في خدمة قضايا الوطن والمواطن، فقد ساهم في حماية الأمن والرفاه

في السنوات التي سبقت وتلت قيام الاتحاد، كما ساهم في تحقيق التنمية الاجتماعية في إمارة أبوظبي، وعزز من هذا الدور عضويته في المجلس الاستشاري الوطني لإمارة أبوظبي التي امتدت لسنوات طويلة.

يقول بن حم عن هذا المجلس:

«في عام ١٩٧١م، أنشأ زايد مجلساً استشارياً لإمارة أبوظبي، ليساعد الحكومة على أداء مهامها ومسؤولياتها الجسام، وقد قال في هذا المجلس هذه المقولة التي لن أنساها أبداً: «إن واجب أعضاء المجلس الاستشاري الوطني هو المشاركة في بناء البلاد، وإرساء قواعد الحكم على أسس ديمقراطية سليمة تؤمن لشعبنا الحياة الحرة الكريمة، إن المجلس الذي نبدأه اليوم ليس جديداً على مجتمعنا، فقد عرفت أبوظبي مبدأ الشورى منذ مئات السنين».[١١]

وينقل راشد عبدالله النعيمي في كتابه «زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد» حواراً ديمقراطياً بين الشيخ زايد وبن حم، يستطيع المرء أن يقرأ فيه مدى التناغم الذي كان يجده بن حم مع كل ما يطرحه الشيخ زايد من فلسفة في نهج الحكم ومع ما يتركه من واقع عملي يطبقه في تفاصيل حياة أبناء شعبه، ويُفهَم منه مدى إيمان بن حم بسلامة وتكامل هذا النهج الذي يخطه رفيقه القائد والأب والمعلم.

ونذكر هنا ما يمثل هذا التناغم مما دار في بعض نقاشات المغفور له مع بن حم وأعضاء المجلس الاستشاري الوطني في الجلسة الافتتاحية للمجلس، إذ يمهد النعيمي قبل نقله للحوار فيقول:

«لقد شعر الرجل أن بناء المواطن من الأمور الهامة.. وأنه خلال فترة قصيرة استطاع أن يبني المواطن..ثم أعطى الابن مسؤولية مشاركة الأب في تنظيم أمور الدولة.. ثم كبرت

الأسرة فأصبح الأمر بينهم شورى.. وأقيم المجلس الاستشاري الوطني».(١٢)

ونقتبس ما رواه النعيمي من تفاصيل الجلسة مبتدئاً بقول الشيخ زايد لأعضاء المجلس:

«إن ثمة حقيقة واضحة في هذه الحياة.. وهي أن من يقود عباد الله إلى الإخلاص ورضا الله عنه.. فهو سعيد.. وسيصل إلى المنزلة التي ينشدها من السمو والرفعة وإلا أرسل الله غيره ليقود.. وأنا لم أفعل شيئاً بعد، فأمامي الكثير أقوم بعمله من أجلكم.

لقد رزقنا الله بالثروة والإمكانيات.. ولقد قمت بواجبي ولم أقصر أو أتقاعس ولكن لم أجلب الثروة.. لقد أرسلها لنا الله وقادنا إلى استخدامها في الطريق الصحيح.. لأن الثروة إذا لم تصرف في طريقها الصحيح أصبحت نقمة بدلاً من أن تكون نعمة.

وتابع حاكم البلاد حديثه قائلاً: أيها الناس عليكم أن تعلموا أن وطنكم هو بمثابة والديكم.. ولن تكون لنا عزة أو كرامة أو جاه أو سلطان بدون هذا الوطن.. فهو حياتكم ومماتكم، ويجب أن يكون مطلبكم الأول والأخير، واعلموا أن إيمانكم بالله يتلوه ويعقبه إيمانكم بوطنكم.

وقال العضو الشيخ سالم بن حم، موجهاً كلامه إلى رئيس الدولة: الله يرضى عليك يا زايد.. لقد أكرمت كبارنا وعلّمت صغارنا.. وأكبرت رجالنا ولم تقصّر في صغيرة أو كبيرة.. وكنت لنا بمثابة الوالد الحنون.

وقال زايد: إن الوالد الحنون إذا لم يهده الله إلى رعاية ولده.. لن يستطيع القيام بواجبه

تجاه ولده.. وقد تصبح بينهم عداوة وخصام.

وصمت زايد لحظات.. ثم قال: يجب أن نتذكر الماضي بعين معتبرة، وقلب واعٍ.. وأن يكون الماضي عبرة نعتبر به لحاضرنا.. إننا إذا أمعنا النظر في الأرض القاحلة لوجدناها قد تحولت إلى أرض خضراء.. والأرض الجدباء الخالية تحولت إلى عمارات وأسواق حديثة، وطريق الأيام أصبح يقطع في ساعات.

إن أكثر ما يفرحنا ويسعدنا.. هو الراحة التي ينعم بها الشعب الآن بعد الشظف والضنك.. وهذا دليل على رضا الله علينا، إن الأمن والطمأنينة التي نشعر بهما ما هما إلا نتيجة لتوفيق الله ورضاه علينا.

ويقف الشيخ سالم بن حم متأثراً بحديث الوالد.. وبصوت عال.. يصرخ قائلاً: زايد يا حبيب الله.. يا حبيب الله يا زايد.

ويقول زايد: إني أحرص عليكم أكثر مما أحرص على عيالي».[١٣]

يوجز علاء نورس في كتابه «سالم بن حم.. ذاكرة تاريخ وتجربة حياة» مسيرة الرجل عبر عقود من الجد والتحدي والعطاء، وذلك بالقول:

«سالم بن حم أحد شهود العصر ومن رجاله البارزين الذين تميزت أدوارهم فيه وتعددت صورها.. إنه ذاكرة تاريخ.. تجربة حياة.. أصالة.. انتماء.. صلابة في الصعاب.. مواقف مشهودة مفعمة بالوفاء والإخلاص للوطن.. رفقة صادقة أمينة بكل امتدادها الزمني مع الشيخ زايد «طيب الله ثراه».. رفقة الزمن الصعب بكل معاناته، لكن إشراقات

الشيخ زايد: حكمة وعزم ورؤى ثاقبة كانت تعطي للشدة معاني وأبعاداً أخرى.. وبن حم من أولئك الذين تعلموا في مدرسة زايد.. وحرصوا على الاستزادة من معارفها.. سنوات تلقٍ واكتساب على امتداد حياة الصبا والشباب ومراحل العمر.. حتى غدت خزين ذاكرته بكل سعتها.

الشيخ سالم بن حم من الرجال المشهود لهم بشجاعة الرأي.. وبشجاعة الموقف.. بدوي الانتماء الأسري الأصيل.. صحراوي النشأة بمواصفاتها قيماً ورجولة. عُرف بصحبته الحميمة ومودته للشيخ زايد «طيب الله ثراه»، شهد معه التحديات.. وشهد معه التحولات.. عاش التاريخ بصورتيه.. فكان المخلص في مساهماته وخدماته.. كما عرف بآرائه السديدة وبخبرته في كثير من القضايا التي تخص الوطن والمواطنين.. خبرته صنعتها رفقته للشيخ زايد «رحمة الله» قبيل وبعد قيام الاتحاد.. ومجالسته المستمرة ومرافقته للشيخ زايد في العديد من رحلاته خارج الوطن، فكانت السعة في المعرفة والاطلاع.. وحين تشكل أول مجلس استشاري وطني عام ١٩٧١م، كان الشيخ سالم بن حم من أعضائه البارزين ولسنوات عديدة. إنه واحد من الرجال المخلصين الذين تعتز بهم دولة الإمارات التي شارك في مسيرتها الناهضة المباركة مثلما شارك في مواجهة تحدياتها طوال عقود مضت.. وفي كل هذا الامتداد الزمني حظي ويحظى الشيخ سالم بن حم بالمكانة المرموقة الجدير بها... وكان في مقدمة المكرَّمين عام ٢٠٠٦م، بتسلُّمه جائزة أبوظبي الإنسانية من قبل الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة».[١٤]

إن ذاكرة بن حم خزين ماضٍ وحاضر، كما يقول نورس، إنه شاهد عصر، العصر الذي

كان بكل صفحاته سجل تاريخ، صنع زايد صفحاته المشرفـة.. الصفحات التي شكّلت التحول في حياة سالم بن حم.[١٥]

ويصف الشيخ سالم بن حم بعض سمات الشيخ زايد الإنسانية وكذلك اهتمام سموه ببناء الإنسان وتعليمه قائلاً :

«تعجز كلماتي عن وصفه، فقد كان «طيب الله ثراه» محباً للخير، ودوداً وعطوفاً، صاحب ذكاء فطري، باراً بأهله ووطنه، لديه عزيمة قوية وإرادة صلبة، إضافة إلى الحكمة وبعد النظر في كل الأمور، وهذا ما مكنه من تحقيق حلم الاتحاد، وبناء دولة عصرية قامت على إنجازات حضارية أقرب إلى المعجزات، والمتأمل في فكر الشيخ زايد يتبين مدى تركيزه الثابت على فكرة «بناء الإنسان» التي جعلها من أولوياته، وكانت نصب عينيه في فترة حكمه، وفي كل خطوة خطاها أو أملٍ تطلّع إليه».[١٦]

الشيخ زايد «طيب الله ثراه» هو الذي قال يوماً: «إن بناء الأوطان يحتاج إلى بناء العقول أولاً». وكان مدركاً أهمية العلم في ذلك. وفي ذلك يتذكر بن حم بدايات النهوض ببناء العقول، إذ يقول:

«أتذكر تلك الأيام.. كان زايد إنساناً مُحباً للعلم، وشجع عليه، وبدأ بتأسيس المدرسة النهيانية في عام ١٩٥٩م، ومن ثم تبعتها مدارس أخرى كان زايد يوليها وقتاً كثيراً من اهتمامه، فيزورها للاطمئنان على سير أنشطتها ولتشجيع الطلاب وحثهم على طلب العلم الذي يبني العقول وينيرها ويرشدها إلى الطريق السوي».[١٧]

ويروي الشيخ سالم بن حم مواقف تعبّر عن عدالة المغفور له الشيخ زايد وشمولية إنسانيته،

وإيمانه بأن العلم للجميع دون تمييز، وأن على صاحب الشأن تيسير تحقيقه، فيقول:

«أتذكر أنه منذ بداية النهضة التعليمية، هناك من أوحى لزايد باقتراح ضرورة تخصيص مدارس مزوَّدة بأحدث الإمكانيات وخيرة المدرسين لأبنائه وأبناء الشيوخ وكبار المسؤولين، ولكن على الفور رد زايد بفكر الأب الكبير الذي يعتبر كل أبناء الشعب أبناءه قائلاً: «يجب أن ينعموا كلهم بنفس المزايا التعليمية ولا تفريق بين أبناء الشعب طالما نريد مزيداً من اتحادهم وتعاونهم». وقال سموه أيضاً: «لماذا لا يتجه تفكيرنا لكي تكون جميع المدارس مزودة بأفضل الإمكانيات وأحسن الخبرات؟ إنني أريد أن يتعلم أولادي في نفس المدارس العامة التي يتعلم فيها الجميع».[١٨]

لقد وزَّع الشيخ زايد ثروة العقل على الجميع فجمع بين البعيد والقريب... واقترن بثروة العقل عنده حبه الكبير اللامتناهي لكل فرد من أفراد شعبه، وغيرته الشديدة على وطنه، كما يقول الشيخ بن حم، ويروي حيال ذلك حواراً مقتضباً بين سموه وأحد الصحفيين حمل بمضامينه ما لا تتسع إليه صفحات، إذ يقول:

«ذات يوم كنت إلى جانب سموه، وإذا بأحد الصحفيين الأجانب يسأل زايد قائلاً: «يا صاحب السمو.. يقول البعض إنكم قد صرفتم الأموال الطائلة في زراعة الصحراء القاحلة، فما الغاية من وراء ذلك؟ ألا ترون أن ذلك يعتبر ضرباً من الإهدار للثروة؟».. وبصدقه وبتلقائيته المعهودة رد زايد على الفور قائلاً: «سوف أجيبك عن طريق السؤال التالي: ألا تعتبر أن الأرض مثل الأم؟». فأجاب الصحفي: «نعم يا طويل العمر.. إن أي إنسان واعٍ ومدرك ومحب لوطنه يعتبر أرض وطنه مثل الأم تماماً». فقال زايد: «إذن نحن متفقون أن الأرض فعلاً هي مثل الأم، ولذلك فإن الأم التي أنجبتني وأعطتني من خيراتها

حتى ترعرعت وكبرت ووجدت نفسي غنياً من خيراتها.. حينما أنظر من حولي وأراها عارية ولا كساء عليها.. أليس من واجبي أن ألبسها كساء يليق بمقام الأم؟».. فتعجب الصحفي وكل من كان حاضراً...».(١٩)

وقد وصفت فراوكة بعبارات مقتضبة صورة ثرية معبرة تجسد عمق العلاقة التي كانت تربط تميمة العوامر بن حم بالشيخ زايد، وذلك في مقال لها بمناسبة مهرجان قصر الحصن ٢٠١٣م، تستذكر فيه بدايات عملها في مكتب مركز البحوث والوثائق بقصر الحصن مع نهاية العقد الثامن من القرن الماضي، وتتحدث عن صورة مما عايشته ووقفت عليه من العلاقة الوطيدة بين الشيخ زايد وبن حم، فتصف لحظات وصول الشيخ زايد إلى قصر الحصن في أحد أيام شهر ديسمبر والذي كانت هي معنية فيه بلقاء الشيخ زايد، حيث وصل سموه وهو يقود سيارته بنفسه وإلى جانبه سالم بن حم، فتقول فراوكة:

« عندما ظهرت سيارة الشيخ زايد أمامنا على الطريق، أدركنا أنه كان يقود بنفسه، وكان يركب بجواره سالم بن حم، شيخ قبيلة العوامر المهمة، وكان بن حم دائماً ما يتناول الغداء مع الشيخ زايد الذي كان يستدعيه باستمرار».(٢٠)

محطات مما قالوا في بن حم ومسيرته الوطنية

ينقل عمار السنجري عن مبخوت بن علي بن ضبعان ما رواه عن قصة وقعت لأبيه مع المرحوم الشيخ سالم بن حم، بيَّنت نُبل صفات بن حم وشهامته ومروءته، وأشارت إلى عمق العلاقة وخصوصيتها التي كانت قائمة بينه وبين الشيخ زايد، كما دلَّلت على أن أصحاب الشيخ

زايد ومخلصيه كانوا يتحلون بالصفات نفسها التي كانت معروفة عن سموه لدى الجميع، حيث يقول السنجري:

« يروي الشيخ مبخوت بن علي بن ضبعان، أنه كان لأبيه مرة بعير اسمه طويلان نفق قرب العين في طريقه وهو قادم من عمان، فوقع في حيرة، وكبار الرجال يعرف بعضهم بعضاً، وكانت علاقته بالشيخ سالم بن حم جيدة، فالتجأ إليه، والشيخ بن حم معروف بكرمه بين العرب، وهو من رجال سمو الشيخ زايد بن سلطان المعروفين، فذهب إليه وقال له: إني أحتاج إلى «ذلول» للرجوع إلى عمان، وفعلاً لم يخيّب بن حم أمله، وقال له على عادة العرب الكرماء: أبشر، اختر الناقة التي تعجبك، ولم يقصّر معه، واختار من نوقه ناقة عمانية، ورحل عليها بعد أن شكره على حُسن صنيعه معه».[٢١]

وعلي بن ضبعان هو بدوي من قبيلة الشعاشعة التي تسكن المناطق الصحراوية الشمالية من حضرموت، على الأطراف الغربية الجنوبية لصحراء الربع الخالي، التي تحاذي رمالها ديار القبيلة، تماماً كما تحاذي تلك الرمال ديار القبائل العربية العريقة، مثل العوامر والرواشد وبيت كثير، وكان بن ضبعان أحد المرافقين للرحالة الشهير برترام توماس الذي كان أول من اجتاز صحراء الربع الخالي، وكان ذا معرفة واسعة بشؤون الصحراء.[٢٢]

وفي وفاة الشيخ سالم بن حم «رحمه الله»، عبَّر سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان ممثل صاحب السمو رئيس الدولة عن ألمه لفقد رفيق الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه»، وأشاد سموه بالمرحوم ومسيرته الحافلة بالعطاء، مذكّراً بمواقف بن حم الحكيمة التي لا تُنسى، ورفقته للمغفور له الشيخ زايد، ومواقفه في نصرة الحق وعمل الخير ومساعدة الكثير من الأسر والأفراد، مشيراً إلى أن مجلسه كان مفتوحاً دائماً ورمزاً للكرم.[٢٣]

ويقول سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية عن بن حم:

«إنه أحد أبناء الوطن المخلصين الذين يشهد لهم بالكفاءة والخبرة والحنكة وسعة الاطلاع والقدرة على التعامل مع القضايا والمشكلات بحكمة وتدبُّر، مما جعله موضع احترام وتقدير كبيرين من المؤسس والباني المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ورفيقاً له «طيب الله ثراه» منذ سنوات الصبا والشباب، وهي رفقة طويلة تخللها كثير من الأحداث والتحولات الكبرى التي شهدتها دولة الإمارات والمنطقة، وكان بن حم بحكم قربه من الشيخ زايد شاهداً حياً على كل تفاصيلها».(٢٤)

ففي تقديمه لكتاب علاء نورس المعنون «سالم بن حم.. ذاكرة تاريخ وتجربة حياة» يقول الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان:

« لقد عايش بن حم وشهد الإنجازات الكبيرة الضخمة التي تحققت على أرض هذا الوطن المعطاء، ولا شك أنه أحد الرجال الذين تعتز بهم دولة الإمارات قياساً بما قدمه من خدمات وأعمال جليلة لوطنه مما أكسبه تلك المكانة الرفيعة وهذا الاحترام الكبير لدى عموم أبناء القبائل وأهله ومحبيه.

ولطاما عهدنا في الشيخ سالم فطنته وذكاءه واطلاعه الواسع مما جعله من أصحاب الخبرة والدراية ببواطن الأمور، فهو يمتلك الكفاءة اللازمة للفصل بين المتخاصمين الذين يلجأون إليه ويرضون به حكماً لاقتناعهم بصواب رؤيته ورأيه. ولطالما كان المغفور له الشيخ زايد رحمه الله يناقشه في بعض القضايا والأمور ويطلب منه أن يدلو بدلوه فيها، وكان بن حم دوماً عند حسن الظن به.

ويحسب للشيخ سالم بن حم أنه كان أحد الأعضاء البارزين في أول مجلس استشاري وطني لإمارة أبوظبي، حيث ساهم وعبر سنوات عديدة في طرح ومناقشة كافة القضايا والمشكلات التي تهم الوطن والمواطن مع زملائه الأعضاء واقتراح التوصيات التي يرونها مناسبة لحلها وتجاوزها، وهو ما يعكس في الواقع مدى حبه وإخلاصه لأهله ومواطنيه وانتمائه الكبير للوطن والقيادة.

وتقديراً وعرفاناً بعطائه الكبير والطويل في مجال العمل الوطني وخدمة المجتمع تم ترشيح الشيخ سالم لجائزة أبوظبي للأعمال الإنسانية في دورتها الثانية عام ٢٠٠٦م، والتي نالها عن جدارة واستحقاق، وحظي بحفاوة وتكريم خاص من الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة حفظه الله»[٢٥]

وخلال تكريمه في الدورة الثانية لجائزة أبوظبي للأعمال الإنسانية، حظي الشيخ سالم بن حم بالحفاوة والتكريم الذي يليق برجل صاحَبَ ورافَق باني هذه الدولة، وكان على رأس المحتفين والمقدرين لتاريخ هذا الرجل، سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، الذي يرعى هذه الجائزة التي استحدثت بتوجيهات من صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله»، لتكون جائزة دورية تقدم كل سنة لكل من خدموا دولة الإمارات العربية المتحدة ومواطنيها عرفاناً من الحكومة بفضلهم وإنجازهم في العمل الوطني وخدمة المجتمع في كافة المجالات الإنسانية والعلمية والثقافية.

وفي الاحتفال الكبير الذي أقيم للمناسبة وحضره كبار رجال الدولة لاقى الشيخ بن حم تقديراً كبيراً من مختلف الموجودين، وكان من بينهم معالي أحمد خليفة السويدي المستشار الشخصي لرئيس الدولة والذي كان من ضمن المكرَّمين في العام نفسه، حيث آثر السويدي أن

يلقي كلمة لمناسبة تكريم الشيخ سالم بن حم ليبرز فيها الدور الكبير الذي لعبه بن حم في بناء الدولة ويعرض رفقته الكبيرة للمغفور له الشيخ زايد «طيَّب الله ثراه» طوال حياته الكريمة، فأفاض السويدي في كلمته بذكر فضائل بن حم ودوره الإنساني، إذ قال:

« لقد عرفت الشيخ سالم بن حم معرفة تامة عن قرب بحكم علاقته ومودته من سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «رحمه الله»، فالشيخ سالم بن حم غني عن التعريف، لأنه من أسرة كريمة ومن قبيلة عريقة ومعروفة ومشهورة من قبائل الإمارات.. رافق سمو الشيخ زايد «رحمه الله» منذ الصبا، وشهد معه جميع التطورات والتحولات الكبيرة، كما شهد الشيخ سالم بن حم وشارك في قيام دولة الإمارات العربية المتحدة والإنجازات التي تحققت على أرضها، حيث قدم خدمات كبيرة وجليلة لوطنه ولمواطنيه خلال الفترة التي رافق فيها زايد الخير.. وهو من الرجال المخلصين القلائل الذين تعتز بهم دولة الإمارات، ومن الذين قدَّموا وما زالوا يقدّمون خدمات كبيرة لوطنهم ولمواطنيهم.

الشيخ سالم بن حم واسع المعرفة والإطلاع وذو خبرة كبيرة ورأي سديد، ويعتبر من البطانة الصالحة التي كانت بجوار المرحوم زايد بن سلطان.. ولا شك أن صحبته الطويلة مع الشيخ زايد ومرافقته له في حله وترحاله في داخل الدولة وخارجها، ومجالسته المستمرة له قد أكسبته خبرة واسعة في الأمور والقضايا العامة إلى جانب ذكائه الفطري، وكان كثيراً ما يحاوره الشيخ زايد رحمه الله في مجالسه العامة ويستأنس بآرائه السديدة في كثير من القضايا التي تهم الوطن والمواطنين».[٢٦]

بن حم يؤرخ للإنسان والحضارة في زايد الوطن

سالم بن حم في ذاكرته، كما في فؤاده، جوانب غنيّة من سيرة مشرقة، ومواقف نيّرة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي قُيّض لابن حم أن يرافقه مسيرة طويلة عاصر معها مراحل التكوين الأولى التي بدأت على يديه «طيب الله ثراه»، ويتذكر كيف خطَّ بعصاه يوما مدناً على الرمال فتجسَّدت في زمن قياسي حقائق في دولة تضاهي اليوم أعرق الدول حضارة وتقدماً.

في ذاكرته التي كان ينبش طياتها، يستعيد بن حم يوميات بعيدة، ربما ترجع إلى عقود، ليروي بدايات تَعَرُّفِه إلى الشيخ زايد، ويروي ملامح ما قبل الاتحاد، وكيف كان شكل الحياة قديماً في الإمارات التي عشقها الشيخ زايد، وكافح طويلاً لتصل إلى ما ينعم به أبناؤها اليوم.

تتعدد محطات التذكر مع بن حم وتتعدد الحكايا التي ظل يرويها؛ فيتطرق للحديث عن الجانب الإنساني في شخصية الشيخ زايد، مبيّناً تفاصيل إنسانية كثيرة من سيرته العطرة، مُبرزاً كثيراً من مواقفه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفكره الذي استشرف المستقبل، وموضحاً سمات كثيرة، ومركّزاً على صفات القيادة والتحدي التي معها يضعف المستحيل، وعلى الحاكم الذي يزرع في من حوله الإصرار، وعدم اليأس، صاحب العزيمة والفضائل.[٢٧]

إضاءات عديدة ومهمة لكثير من الأحداث والتجارب التي عاصرها بن حم برفقة المرحوم الشيخ زايد، وهي تكشف، في معظمها، حقائق وتفاصيل ربما لم تُذكر من قبل عن شخصية المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «طيب الله ثراه».

ونقتبس هنا بعضا مما أَرَّخَتْ به ذاكرة بن حم وما اختزنه فؤاده لمسيرة زاهرة بثَّها لسانه للباحثة شيخة الغاوي عبر صفحات كتابها «زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن»، وعبر صفحات الصحف، حيث نبشت الغاوي في العمق من ذاكرة عدد من الرواد وهم يتحدثون عن ذكرى الشيخ زايد العطرة وتجاربهم مع القائد والمعلم والأخ. فتمهد الغاوي قبيل دفق الذاكرة، وتقول:

«الشيخ سالم بن مسلم بن حم، في محياه ترى تاريخ وطن، وفي سماحته تكتشف شعباً تربى على مكارم الأخلاق والشهامة».[٢٨]

هكذا أرادت الغاوي أن تختزل سمات رجل كابن حم في عبارة جزلى تحتوي عبر صاحبها عراقة تاريخ وأصالة شعب، وهي بذلك تجاري، بل تكافىء الموسوم، الذي بدوره يختصر بأجزل الكلام سيرة قائد وبانٍ ومعلم، فيقول:

« زايد لم يزرع الصحراء فحسب، بل زرع فينا الفضائل والمكارم، وغرس الحب والعطاء، فحصد العرفان والوفاء من الجميع».[٢٩]

يتذكر بن حم بومضات سريعة محطات طوت سنين في عمرها، نقتطف من هذه الومضات الشواهد أهمها، إذ يقول[٣٠]:

«في ذاكرة التاريخ هناك رجال نثروا عطرهم حباً للغير ومساعدة الآخرين، ورغم ذلك هناك جوانب في حياتهم تعيش في الظل لا يدري عنها أحد سوى المقربين منهم».

«الشيخ زايد شخصية تلاقت فيها الأُبوَّة والرحمة مع الحزم وإحقاق الحق، فصنع

تاريخاً مضيئاً، يجب أن نعرف أسراره، ولابد من ديمومة إعادة قراءته؛ لأنه شخصيتنا وثبات وحدتنا، وبالتالي لا يجوز أن تنعزل الأجيال عن قصة مجد صنعها رجل فذٌّ استطاع أن يجعل هذا الكيان أسطورة عمل فريد ووحدة رائدة».

« ربما يكون أهم جانب في شخصية هذا الرجل الفريد هو بساطته وتواضعه الشديدان، وهما خصلتان استلهم منهما أسلوبه في إدارة شؤون الحكم، وتمثل هذا التواضع في أنه لم يكن يدَّعي عصمة من الخطأ ولا تكبُّراً وترفُّعاً يبعده عن رعيته.»

« يعجز القلب واللسان عن وصف تواضع الشيخ زايد «رحمه الله»، فكان يقود سيارته في شوارع وطرقات العين بنفسه، ولم يكن يرافقه أي حراس أو سيارات حراسة، وعندما يرانا يتوقف ويترجل منها للسلام علينا ويأمرنا أن نركب معه، ويطلب منا إما أن يأخذنا إلى وجهتنا أو إذا كان لدينا وقت يطلب منا الذهاب معه إلى القصر من أجل الحديث عن أحوال المواطنين والوطن، ويصرُّ على أن نتناول طعام الغداء أو العشاء معه».

«كان يهتم كثيراً بمعرفة أحوال الأهالي وأوضاعهم، ويصرُّ في جولاته التفقُّدية أن يسير أمام المنازل الشعبية وفي أوقات مختلفة، حتى يرى بأم عينه الأوضاع المعيشية للشعب، وكان يلتقي بكل من يراهم أمام منازلهم، ويتحدث معهم ويستمع لطلباتهم بدون تذمر أو تملل ويأمر بتنفيذها».

«كان رحمه الله يتوقف عند الأشجار المهملة واليابسة ذات اللون الأصفر، ويعتني بها ويخدمها، ويعلمُّنا طرق ريّها وتسميدها، وكيف نعتني بها ونرعاها، ويأمر بتوصيل الماء لها قبل إن يغادر المكان، ويتوقف عند شجرة أخرى آيلة للسقوط فيقوّمها ويربطها، ويوصينا

خيراً بمثل هذه الأشجار».

«عندما حكم زايد استراح الناس وشعرنا بالأمن الذي بثَّه بين جميع القبائل وذقنا طعم العدل والأمان، وأصبحنا نعيش بروح الأسرة الواحدة، فالعدالة تسود الجميع، وزايد هو أب للجميع، يستقبلنا ويجلس معنا تحت ظلال الشجر خارج قصر المويجعي. وأعلن منذ توليه مقاليد الحكم تسخير الثروات من أجل بناء وتقدم الوطن ورفع مستوى معيشة المواطنين».

«عام ١٩٧٤م، أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثاني في مدينة لاهور الباكستانية، كان الشيخ زايد يرأس وفد الدولة، وأثناء جلوسنا في إحدى زوايا ردهات المؤتمر تقدم صحفي واقترب من الشيخ زايد، محاولاً الوصول إليه لإجراء حديث معه، وبينما حاول الحرس منعه من ذلك، شاهد الشيخ زايد هذا الموقف، وطلب من الحرس السماح للصحفي بالاقتراب، وأمره بالجلوس بجواره مستفسراً عن رغبته وحاجته، إلا أن الصحفي بادره بسؤال قائلاً: معروف عن سموكم ترفيه الشعب، فتغدق عليهم المال والكماليات والممتلكات، وتوفر لهم الخدمات والسكن الفاخر والرعاية الصحية والتعليم مجاناً بدون أي مقابل، حتى ولو كان رمزياً.. فما هو رد سموكم؟

شعرنا لحظتها بصعوبة الإجابة.. ولكن الشيخ زايد بادرنا جميعاً بالإجابة وكأنها حاضرة في ذهنه منذ زمن بعيد، وعلى الفور وبدون تردد، سأل الصحفي: هل أنت متزوج؟.. وهل لديك أطفال؟.. وهل تتكفل بعلاج وتعليم أبنائك وتوفر لهم الخدمات الضرورية؟

فأجابه: بنعم.

وهنا اقترب الشيخ زايد منه قليلاً وكأنه يهمس في أذنه، وأجابه قائلاً: أنا عندي يقين راسخ أن شعب الإمارات هم جميعا أبنائي، وأنا الأب ومسؤول عن توفير كل احتياجاتهم ومستلزماتهم الضرورية مثلما توفر أنت حاجات أبنائك.

وأنهى إجابته بالقول: «الذي لا يربي أبناءه أثناء حياته متى يربيهم؟».. وهنا ذهلنا جميعاً برد الشيخ زايد وإجاباته المحكمة بمن فيهم الصحفي الذي ابتسم ابتسامة خفيفة».

هوامش الفصل الرابع

١. علاء نورس، سالم بن حم: ذاكرة تاريخ.. وتجربة حياة، (د. ن)، ط١، ٢٠٠٩م، ص ص ١٩- ٢٠.

٢. المرجع السابق نفسه، ص٢٢.

٣. المرجع السابق نفسه، ص ٢٠.

٤. المرجع السابق نفسه، ص ١٣٢.

٥. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٣٢- ١٣٣.

٦. عمار السنجري، ذاكرة الصحراء، دار البارودي، (د. ت)، ص ١٥٦.

٧. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص ص١٠٩-١١٠.

٨. سالم بن حم، رحلتي مع زايد..حديث الذاكرة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٧. وانظر كذلك: عمار السنجري، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

٩. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٠٩-١١٠.

١٠. المرجع السابق نفسه، ص١٥٢.

١١. المرجع السابق نفسه، ص١٢٩. وانظر كذلك: سالم بن حم، مرجع سبق ذكره، ص٨٣.

١٢. راشد عبدالله النعيمي، زايـــــد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار كتّاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٢م، ص٦٤.

١٣. المرجع السابق نفسه، ص ص٦٤-٦٦.

١٤. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص ص١٤-١٥.

١٥. المرجع السابق نفسه، ص ١٤٥.

١٦. المرجع السابق نفسه، ص١١٠. وانظر كذلك: سالم بن حم، مرجع سبق ذكره، ص٨٨.

١٧. عمار السنجري، مرجع سبق ذكره، ص١٣٠. وانظر كذلك: سالم بن حم، مرجع سبق ذكره، ص٦٤.

١٨. سالم بن حم، مرجع سبق ذكره، ص٩١.

١٩. المرجع السابق نفسه، ص١٦٧.

٢٠. فراوكة هيرد-باي، رؤية الشيخ زايد لقصر الحصن، جريدة ذاناشونال، ٢/ ٣/ ٢٠١٣م.

٢١. عمار السنجري، علي بن ضبعان وتوماس.. الدليل والرحَّالة، مجلة ليوا، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، عدد١، يناير ٢٠٠٤م، ص ص٩٢-٩٩.

٢٢. المرجع السابق نفسه.

٢٣. جريدة البيان، ٢٠/ ٣/ ٢٠١١م، جاء ذلك أثناء تقديم سمو الشيخ سلطان بن زايد

آل نهيان ممثل صاحب السمو رئيس الدولة واجب العزاء إلى الشيخ مسلم سالم بن حم العامري وإخوانه في وفاة المغفور له الشيخ سالم بن حم.

٢٤. علاء نورس، مرجع سبق ذكره، ص٧. جاء ذلك في تقديم سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان لكتاب علاء الدين نورس «سالم بن حم: ذاكرة تاريخ.. وتجربة حياة».

٢٥. المرجع السابق نفسه، ص ص٧-٩.

٢٦. المرجع السابق نفسه، ص١٥٨.

٢٧. شيخة الغاوي، زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن، أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ط١، ٢٠١٢م، ص ص٩٩-١٠٩.

٢٨. جريدة الاتحاد، ٢/ ١١/ ٢٠٠٦م.

٢٩. شيخة الغاوي، مرجع سبق ذكره، ص١٠٤.

٣٠. المرجع السابق نفسه، ص ص٩٩- ١٠٩. وانظر كذلك: جريدة الاتحاد، ٢/ ١١/ ٢٠٠٦م.

الفصل الخامس

من شعراء بني عامر بن صعصعة

أغنت بنو عامر الشعر العربي بالعشرات من نوابغ الشعر وعمالقته، ومنهم من عاش في العصر الجاهلي وشهد تألق الشعر أنذاك، ومنهم من كانوا من الشعراء الإسلاميين الذين لم يشهدوا من الجاهلية شيئا، وآخرون كانوا من المخضرمين الذين جمعوا بين العصرين، وثمة الكثير منهم من فحول الشعراء المحدثين، كما امتد الشعر في ذراري بني عامر يشهد نوابغ منهم حتى اليوم.

وقد اخترنا نماذج معدودة من كل هؤلاء كشواهد على مختلف عصور الشعر في بني عامر، كما اخترنا من أشعارهم ما يجسد الشعر العربي بمختلف أغراضه، فنجد منها ما يمثل الأغراض التقليدية للشعر كالمدح، والفخر، والرثاء، ووصف الحروب وبطولاتها، وبث الحماس عند القتال، والغزل، كما نجد منها ما يتضمن الأغراض الاجتماعية التي بدأت تظهر جلية في قصائد الشعراء المعاصرين.

وكما تشكل تلك الأشعار لوحة تتعدد ألوانها وأحداثها ومعاني ودلالات مشاعر صانعيها، فإنها تعد في كثير من جوانبها توثيقا تاريخيا هاما، إذ تعتبر من أهم المصادر التاريخية، فقد زخرت الذاكرة الشعرية العربية قديما بنواحي الحياة، وتسجيلات الزمن وأحواله ومواده فيها، ومساكن أهلها وديارهم التي عاشوا وتجولوا فيها، وأرَّخت لعادات العرب وتقاليدهم، وقد قيل: «الشعر مرآة العرب في الجاهلية».

والشعر من المأثورات الشعبية الهامة لدى أبناء القبيلة، وهو كذلك مصدر إلهام ودليل إبداعي ثقافي للمجتمع البدوي في حقب تاريخية متعددة، فهو من مكونات الكيان الثقافي لإثبات الوجود الإنساني الثقافي والحضاري الصحراوي، إذ هو من أبرز أدوات التعبير عن الذات الجمعية والوجدانية الإنسانية، والكفايات العقلية في إمكانية تشكيل الكيان الثقافي

للمجتمع، فلا عجب في أن يكون من بين ما سنعرضه من أشعار عامرية يندرج في روائع الأدب العربي القديم، ويمثل أعمالا خالدة تشكل جزءا من الإبداع الإنساني في عموميته. كما هو الحال مع المعلقات التي نعتبرها أروع ما جادت به قرائح الآباء، ويعتبرها البعض أثراً جوهرياً لحضارة عريقة من حضارات العالم القديم(١).

ورغم أن كل شاعر يريد أن يكشف عن تعدد مواهبه، ففي شعره أو ربما في قصيدته الواحدة، نجد الصائد، والمحارب، والرحالة، بالإضافة إلى حكمة القاضي، والفيلسوف، والزعيم(٢)، غير أن الشاعر يظل سفير قومه وداعيتهم ومعلمهم، وصحافيهم، بل لقد كان القائم على بيت مالهم، كما يقول وليم ر. بولك في كتابه عن معلقة لبيد بن ربيعة، والذي يضيف بأن الشاعر كان يجد متعته الخاصة في صقل أبياته الشعرية التي ينظمها ببسالة قبيلته، أو النيل من أعدائها، فكان ينافح عن قبيلته بسلاح الكلمة في حلبته الخاصة(٣).

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة(٤)، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية والإسلام، من أهل عالية نجد، وهو مخضرم بين الجاهلية والإسلام، أدرك الإسلام فأسلم، ويروى أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد قومه بنى جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأسلم وحسن إسلامه، وانتقل إلى الكوفة بعد إسلامه واستقر فيها حتى مات فيها(٥)، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نشأ جواداً شجاعاً(٦)، كان شريفا في قومه، صاحب مكانة وفضل كبير، وهو من أكرم العرب

وأجودهم، وله في ذلك مواقف مشهورة.

فقد كان آلى على نفسه أن يطعم الناس كلما هبت ريح الصَّبا، وامتد التزامه بذلك منذ الجاهلية حتى الإسلام، فلم تكن تهب الصَّبا إلا نحر وأطعم الناس حتى تسكن الريح، وألزم ذلك نفسه في الإسلام، فخطب والي الكوفة الوليد بن عقبة في يوم صبا، وطالب المسلمين بأن يعينوا لبيداً على ما ألزم نفسه عليه، وأعلن أنه سيرسل مئة ناقة فتية، وأرسل معها شعراً، منه:

أرى الجـــــزار يـشـحـذ شـفـرتـيـه
إذا هـبـت ريـــاح أبي عـقـيـــــــــل
أشــــم الأنـــــف أصـــيـــد عـــامـــري
طـــويـــل الـــبـــاع كـــالـــسـيـف الـصـقـيـل

فلما أتى الشعر إلى لبيد قال لابنته: يا بنية أجيبيه، فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر، فقالت:

إذا هـــبـــت ريــــــاح أبي عـــقـــيـل
دعـــونـــا عـــنـد هبتها الوليــــــــــدا
أشــــم الأنـــــف أصـــيـــد عـبـشـمـيـاً
أعـــان عـــلى مـــروءتـــه لبيــــــــــدا[٧]

وكان لبيد من المعمرين، فلما بلغ تسعين سنة قال:

كـــأني وقــد جـــاوزت تــســعـين حجـــة
خـــلـعـتُ عِــــذاري أو فـضـضـت لجـــامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرمي وليس برام

فلو أنني أُرمى بنبل رأيتها

ولكنني أُرمى بغير سهام

ولما بلغ مائة وعشرين سنة قال:

وغنيت دهرا قبل مجرى داحس

لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما حضرته الوفاة دعا ابنا له وقال: إن أباك لم يمت، ولكن تُوفي، فإذا قبض أبوك فأغمضه، واستقبل به القبلة، ووشحه بثوبه، ولا تصح عليه صائحة ولا تبك عليه باكية، وانظر جفنتي التي كنت أصنعها، فاصنعها ثم أحملها إلى مسجدي لمن كان يغشاني لها، فإذا سلم الإمام فقدمها إليهم يأكلوا، فإذا فرغوا فقل: احضروا جنازة أخيكم لبيد بن ربيعة فقد قبضه الله، ثم أنشأ يقول:

وإذا دفنت أباك فاجعل

فوقه خشباً وطينا

وصفائحا صماً روا

سيها يسددن الغضونا

ويقين حر الوجه شمسا

والتراب ولن يقينا(٨)

نبغ لبيد في الشعر وهو غلام، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان، وأسلم وهو فى قمة شهرته وعطائه الشعرى، وبإسلامه اعتزل الشعر منبهرا بالقرآن، حيث هجر في آخر عمره الشعر إلى القرآن الكريم، فينقل عبد الرحمن بن عبد الحميد علي في كتابه تاريخ الأدب في العصر الجاهلي عن ابن سلام في طبقات فحول الشعراء قائلاً:

كتب عمر إلى عامله أن سَلْ لبيداً والأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟ فقال الأغلب:

أرجـــــــــــزاً ســـألـــت أم قـــصــيـــدا

فـــقـــد ســـألـــت هـــيـــنـــاً مـــوجـــودا

وقال لبيد: قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران [٩].

قال لبيد معظم شعره في الجاهلية، وتألق قبيل ظهور الإسلام مباشرة، واعتبره البعض في عداد آخر فحول شعراء الجاهلية [١٠]، وفي شعره قال الذين قدموه هو أفضل الشعراء في الجاهلية والإسلام، وأعرفهم بفصحاء العرب، وأقلهم لغوا في الشعر. ويميل شعره إلى متانة الأسلوب، وقوة الأداء، وفخامة الألفاظ. نظم لبيد معلقته وأساسها الطلول ومنتصفها وصف الخمرة والمحبوبه وأخرها كان على الكرم والفخر [١١]، ومن معلقته:

عَـفَـتِ الـدِّيَـارُ مَحَـلُّـهَـا فَـمُـقَـامُـهَـا

بِـمِـنَـىً تَـأَبَّـدَ غَـوْلُهَـا فَـرِجَـامُـهَـا

فَـمَـدَافِـعُ الـرَّيَّـانِ عُـرِّيَ رَسْـمُـهَـا

خَـلَـقَـاً كَـمَا ضَـمِـنَ الـوُحِـيَّ سِـلامُـهَـا

دِمَـــنٌ تَجَــــرَّمَ بَـعْـدَ عَـهْـدِ أَنِـيـسِـهَـا
حِـجَـجٌ خَـلَـــوْنَ حَـلالُهَـا وَحَـرَامُـهَـا
رُزِقَـــتْ مَـرَابِـيْـعَ الـنُّـجُـومِ وَصَـابَهَـا
وَدْقُ الـــرَّوَاعِـــدِ جَــوْدُهَــا فَـرِهَـامُـهَـا
مِـــنْ كُـــلِّ سَـــارِيَـــةٍ وَغَـــادٍ مُـدْجِـنٍ
وَعَــشِــيَّــةٍ مُـتَـجَـــاوِبٍ إِرْزَامُـــهَــا
فَـعَـلا فُــــرُوعُ الأَيْهُــقَـــانِ وأَطْـفَـلَـتْ
بِـالجَـلْـهَـتَـيْـنِ ظِـبَـاؤُهَـا وَنَـعَـامُـهَـا
وَالـعِـيْـــنُ سَـــاكِـنَــةٌ عَـلَى أَطْـلائِـهَـا
عُـــوذاً تَـأَجَّـلُ بِـالـفَـضَـاءِ بِهَـامُـهَـا
وَجَـلا الـسُّـيُـولُ عَـنْ الـطُّـلُـولِ كَـأَنَّهَـا
زُبُـرٌ تُجِـدُّ مُـتُـونَهَـا أَقْـلامُـهَـا(١٢)

ومن شعر معلقته في الغزل:

شَـاقَـتْـكَ ظُـعْـنُ الحَـيِّ حِـينَ تَحَـمَّـلُـوا
فَـتَـكَـنَّـسُـوا قُـطُـنَـاً تَـصِرُّ خِـيَـامُـهَـا
مِـــنْ كُـــلِّ مَحْـفُـوفٍ يُـظِـلُّ عِـصِـيَّـهُ
زَوْجٌ عَـلَـيْـهِ كِـلَّـةٌ وَقِـرَامُـهَـا

زُجَــلاً كَــأَنَّ نِــعَــاجَ تُــوْضِــحَ فَـوْقَـهَـا

وَظِــبَــاءَ وَجْــــرَةَ عُـطَّـفَــاً أَرْآمُــهَــا

حُــفِــزَتْ وَزَايَــلَــهَــا الـــسَّـرَابُ كَـأَنَّـهَـا

أَجْـــزَاعُ بِـيشَـةَ أَثْـلُـهَـا وَرِضَـامُـهَـا

بَــلْ مَـا تَـذَكَّـرُ مِـنْ نَـوَارَ وقَـدْ نَـأَتْ

وتَـقَـطَّـعَـتْ أَسْـبَـابُـهَـا وَرِمَـامُــهَـا

مُـرِّيَـةٌ حَـلَّـتْ بِـفَـيْـدَ وَجَـاوَرَتْ

أَهْـلَ الحِـجَـازِ فَـأَيْـنَ مِـنْـكَ مَـرَامُـهَـا

بِـمَـشَـارِقِ الجَـبَـلَـيْنِ أَوْ بِـمُـحَـجَّـرٍ

فَـتَـضَـمَّـنَـتْـهَـا فَـــرْدَةٌ فَـرُخَـامُـهَـا

فَـصُـوائِـقٌ إِنْ أَيْـمَـنَـتْ فَـمَـظِـنَّـةٌ

فِـيْـهَـا وِحَــافُ الـقَـهْـرِ أَوْ طِـلْـخَـامُـهَـا

فَـاقْـطَـعْ لُـبَـانَـةَ مَـنْ تَـعَـرَّضَ وَصْـلُـهُ

وَلَــشَرُّ وَاصِــلِ خُـلَّـةٍ صَرَّامُـهَـا(١٣)

وفي وصفه الدقيق ذي التشبيهات الجميلة لناقته:

فَـلَـهَـا هِـبَـابٌ فِي الـزِّمَـامِ كَـأَنَّـهَـا

صَـهْـبَـاءُ خَـفَّ مَـعَ الجَـنُـوبِ جَـهَـامُـهَـا

أَوْ مُـلْـمِـعٌ وَسَـقَـتْ لأَحْـقَـبَ لاَحَـهُ

طَـرْدُ الـفُـحُـولِ وَضَرْبُهَـا وَكِـدَامُـهَـا

يَـعْـلُـو بِهَـا حَـدَبَ الإِكَـامِ مُسَـحَّجٌ

قَـدْ رَابَـهُ عِـصْـيَـانُهَـا وَوِحَـامُـهَـا

بِـأَحِـزَّةِ الـثَّـلَـبُـوتِ يَـرْبَـأُ فَـوْقَـهَـا

قَـفْـرَ المَـرَاقِـبِ خَـوْفُـهَـا آرَامُـهَـا

حَـتَّـى إِذَا سَـلَـخَـا جُمَـادَى سِـتَّـةً

جَـزْءاً فَـطَـالَ صِـيَـامُـهُ وَصِـيَـامُـهَـا

رَجَـعَـا بِـأَمْـرِهِمَـا إِلَى ذِي مِـرَّةٍ

حَـصِـدٍ وَنُـجْـحُ صَرِيْـمَـةٍ إِبْـرَامُـهَـا

وَرَمَـى دَوَابِـرَهَـا الـسَّـفَـا وَتَهَـيَّـجَـتْ

رِيْـحُ المَـصَـايِـفِ سَـوْمُـهَـا وَسِـهَـامُـهَـا

فَـتَـنَـازَعَـا سَـبِـطَـاً يَـطِـيْرُ ظِـلالُـهُ

كَـدُخَـانِ مُـشْـعَـلَـةٍ يُـشَـبُّ ضِرَامُـهَـا

مَـشْـمُـولَـةٍ غُـلِـثَـتْ بِـنَـابِـتِ عَـرْفَـجٍ

كَـدُخَـانِ نَـارٍ سَـاطِـعٍ أَسْـنَـامُـهَـا

فَـمَـضَى وَقَـدَّمَـهَـا وَكَـانَـتْ عَـادَةً

مِـنْـهُ إِذَا هِـيَ عَـرَّدَتْ إِقْـدَامُـهَـا(١٤)

ومن رثائه ما قاله في النعمان

ألا تَسْألانِ المَرْءَ ماذا يُحاوِلُ
أَنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَلالٌ وباطِل

أرى الناسَ لا يَدرُونَ ما قَدرُ أمرِهِمْ
بلى: كلُّ ذي لُبٍّ إلى اللهِّ وَاسِلُ

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهُّ باطِلُ
وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ

وكلُّ أُناسٍ سوْفَ تَدخُلُ بَينَهُمْ
دُوَيْهِةٌ تصفَرُّ مِنها الأنامِلُ

وكلُّ امرىءٍ يَوْماً سيعلمُ سعيهُ
إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ المَحاصِلُ(١٥)

وقد رثى لبيد نفسه قبل موته، فحين حضرته الوفاة وحوله بنتاه، قال يخاطبهما:

تَمنّى ابنَتَايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما
وهلْ أنا إلاَّ من ربيعةَ أوْ مضرْ

ونائحتانِ تندبانِ بعاقلٍ
أخا ثقة لا عينَ منهُ ولا أثرْ

وفي ابنيْ نزارٍ أُسوةٌ إنْ جزعتُما
وَإنْ تسألاهُمْ تخبرَا فيهِمُ الخبرْ

وفيمنْ سواهُمْ مِنْ مُلوكٍ وسُوقةٍ
دعائمُ عرشٍ خانَهُ الدهرُ فانقعرْ

فَـقُـومـا فَــقُــولا بـالــذي قَـــدْ عَـلِـمْـتُـما
وَلا تَخْـمِـشَـا وَجْـهـاً وَلا تَحْـلِـقا شَـعَـرْ
وقُـــولا هـــوَ المـــرءُ الـــذي لا خـلـيـلَـهُ
أضـــاعَ، وَلا خـــانَ الـصَّـديـقَ وَلا غَـــدَرْ
إلى الحَـــوْلِ ثـــمَّ اسـمُ الـسّـلامِ عـلَـيكُـما
وَمَــنْ يَـبْـكِ حَـــوْلاً كـامـلاً فـقـدِ اعـتـذرْ[١٦]

واشتهر لبيد في رثاء أخيه غير الشقيق أَربَد الذي كان يحبه حبا جماً، وقال فيه عددا هائلا من المراثي[١٧]، ومما قال فيه:

بـلـيـنـا ومـــا تـبـلى الـنـجـومُ الـطَّـوالِـعُ
وتَـبْـقَـى الجِـبـالُ بَـعْـدَنَـا والمَـصـانِـعُ
وقـــد كـنـتُ في أكـنـافِ جـارِ مـضـنّـةٍ
فـفـارقَـنـي جـــارٌ بـــأرْبَـــدَ نـافِـعُ
فَــلا جَــزِعٌ إنْ فَـــرَّقَ الـــدَّهْــرُ بَـيْـنَـنـا
وكُـــلُّ فَـتـىً يَــوْمَــاً بــهِ الـــدَّهْــرُ فـاجِـعُ
فَــلا أنَــا يـأتـيـني طَـريـفٌ بِـفَـرْحَـةٍ
وَلا أنــا مِمّــا أحــدَثَ الــدَّهــرُ جــازِعُ
ومَــا الــنّـاسُ إلاّ كـالـدّيـارِ وأهْـلـهـا
بِهـا يَـــوْمَ حَـلُّـوهـا وغَـــدْواً بَـلاقِـعُ

وما المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِهِ
يحورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ
وما البِرُّ إلاَّ مُضْمَراتٌ منَ التُّقَى
وَما المَالُ إلاَّ مُعْمَراتٌ وَدائِعُ
وما المالُ والأهْلُونَ إلاَّ وَديعَةٌ
وَلابُدَّ يَوْماً أنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ
وَيَمْضُون أرْسَالاً ونَخْلُفُ بَعدهم
كما ضَمَّ أُخرَى التّالياتِ المُشايِعُ
ومَا الناسُ إلاَّ عاملانِ: فَعامِلٌ
يتبِّرُ ما يبني، وآخرُ رافِعُ
فَمِنْهُمْ سَعيدٌ آخِذٌ لنَصِيبِهِ
وَمِنْهُمْ شَقيٌّ بالمَعيشَةِ قانِعُ (١٨)

ويقول أيضاً:

ما إنْ تعرّي المنونُ منْ أحدِ
لا والدٍ مشفقٍ ولا ولدِ
أخشَى على أربدَ الحتوفَ وَلا
أرْهَبُ نوءَ السِّماكِ والأسدِ

فَـجَّـعَـنـي الـرَّعـدُ والـصَّـواعِـقُ بـالـ
فــارِسِ يــومَ الـكـريهـة ِ الـنَّـجـدِ
الـحـــارِبِ الجـابــر الحــريـــبَ إذا
جـــاء نـكـيـبـاً وإنْ يـــعـــدْ يـعـدِ
يَـعْـفُـو عَـلى الجَـهْـدِ والـسّـؤالِ كما
أُنـــزلَ صـــوبُ الـربـيـعِ ذي الـرّصـدِ
لمْ يـبـلـغِ الـعـيـنَ كـلَّ نهـمـتِـهـا
لَـيـلَـة َ تُمـسي الجِـيـادُ كـالـقِـدَدِ
كُـلُّ بَـنـي حُـرَّة ٍ مَـصِـيرُهُـمُ
قُـلٌّ وإنْ أكـثَـرْتَ مِـنَ الـعَـدَدِ
إنْ يـغـبـطُـوا يهـبـطُـوا وإنْ أمـرُوا
يَـوْمـاً يَـصِـيرُوا لـلـهُـلْـكِ والـنَّـكَـدِ
يـا عَـيـنُ هـّلاَّ بَـكَـيْـتِ أرْبَـدَ إذْ
قـمْـنـا وقـامَ الخـصـومُ في كـبـدِ
وعَـيـنِ هَـلاَّ بَـكَـيْـتِ أرْبَـدَ إذْ
ألـوتْ ريـاحُ الـشّـتـاء بـالـعـضـدِ
فـأصـبـحـتْ لاقـحـاً مـصـرمـةً
حـينَ تَـقَـضَّـتْ غَـوابِـرُ المُـدَدِ

إنْ يَـشْــغَــبُــوا لا يُــبَــالِ شَـغْـبَـهُـمُ
أوْ يَـقْـصِـدوا في الحُـكـومِ يَـقْـتَـصِـدِ

حُــلْــوٌ كَــريــمٌ وَفي حَــلاوَتِــهِ
مُــرٌّ لَـطـيـفُ الأحْــشــاءِ والـكَـبِـدِ

الــبــاعِــثُ الــنَّــوْحَ في مــآتِمِــهِ
مِـثْـلَ الـظِّـبَـاء الأبْـكـارِ بــالجَــرَدِ [١٩]

ومن قصائده الجميلة:

قُــضِيَ الأُمــورُ وأُنْــجِــزَ المَــوعــودُ
واللهُ ربّي مــاجــدٌ محــمــودُ

ولــهُ الــفــواضــلُ والــنــوافــلُ والــعــلا
ولَــهُ أثــيــثُ الخَــيــرِ والمَــعْــدُودُ

ولــقــد بــلــتْ إرمٌ وعــادٌ كــيــدهُ
ولــقــد بــلــتــهُ بــعــدَ ذاكَ ثــمــودُ

خَـلُّـوا ثِـيـابَهُـمُ عـلى عَـوْراتِهِـمْ
فـهُـمُ بـأفـنِـيَـةِ الـبُـيُـوتِ هُمُـودُ

ولـقـد سـئـمـتُ مـنَ الحـيـاةِ وطـولِها
وســؤالِ هــذا الــنــاسِ كــيــفَ لــبيدُ

وغَـنـيـتُ سَـبـتـاً قـبـلَ مُجـرَى داحـسٍ

لـوْ كـانَ لـلـنَّـفسِ الـلَّـجـوجِ خُـلُـودُ

وشـهـدتُ أنـجـيـةَ الأفـاقـةِ عـالـيـاً

كـعـبـي، وأردافُ المـلـوكِ شـهـودُ

وأبُـوكِ بـسرٌ لا يـفـنـدُ عـمـرهُ

وإلى بِـلىً مـا يُـرْجَـعَـنَّ جَـديـدُ

غَـلَـبَ الـعَـزاءَ وكُـنـتُ غـيرَ مُـغَـلَّـبٍ

دَهْـرٌ طَـويـلٌ دائِـمٌ مَمـدُودُ

يـومٌ إذا يـأتي عـليَّ ولـيـلـةٌ

وكِـلاهُمـا بَـعْـدَ المَـضـاء يَـعُـودُ

وأراهُ يـأتي مـثْـلَ يَـوْمِ لَـقِـيـتُـهُ

لم يـنـصرمْ وضـعـفـتُ وهـوَ شـديـدُ

وحَمَـيـتُ قَـوْمـي إذْ دَعَـتـنـي عـامِـرٌ

وتـقـدمـتْ يـومَ الـغـبـيـطِ وفـودُ

وتَـداكـأتْ أركـانُ كـلِّ قَـبـيـلَـةٍ

وفَـوارِسُ المـلـكِ الهُـمامِ تَـذودُ

أكـرَمـتُ عِـرْضي أن يُـنـالَ بـنَـجْـوَةٍ

إنَّ الـبريء مـنَ الهـنـاتِ سـعـيدُ

مــا إنْ أهـــابُ إذا الـــــسُّرادِقُ غَــمَّــهُ

قـــرعُ الــقــسيُّ وأرعـــــشَ الــرّعــديــدُ (٢٠)

ومن روائع شعره:

إنّـــــما يحــفــظُ الــتّـــقــى الأبـــــــرارُ

وإلى اللهِ يــســتــقــرُّ الــقـــرارُ

وإلـى اللهِ تـــــرجـــــعـــونَ وعـــنـــدَ اللهِ

وردُ الأمــــورِ والإصـــــدارُ

كُـــلَّ شيءٍ أحـــصَى كِــتـــابــاً وعِـــلْـــماً

ولـــديـــهِ تجـــلّـــتِ الأسْرارُ

يـــومَ أرزاقُ مَـــنْ يــفــضّــلُ عــمٌّ

مُـــوسَـــقَـــاتٌ وحُـــفَّـــلٌ أبْـــكَـــارُ

فـــاخـــراتٌ ضروعُـــهـــا في ذُراهـــا

وأنَـــــاضَ الـــعَـــيْـــدانُ والجَـــبّـــارُ

يَـــوْمَ لا يُـــدخِـــلُ المُــــدارِسَ في الـرَّحـــ

ـــمَـــةِ إلاَّ بَـــــراءَةٌ واعــــتِـــذارُ

وحــــســـانٌ أعـــــدَّهُـــــنَّ لأشْــــهــا

دٍ وَغـــفـــرُ الّـــذي هُــــوَ الــغَــفّــارُ

وَمَــــقـــامٌ أكْـــــرِمْ بـــهِ مِـــنْ مَـقَـام
وهَــــــــوادٍ وسُـــــنَّـــــة ٌ ومَـــشَـــارُ

إنْ يــكــنْ في الحَــيـــاة ِ خَـــيرٌ فـقـد أُنْـــ
ـــظِــرْتُ لــوْ كـــانَ يَــنْـفَــعُ الإنْـظَـــارُ

عـــشْـــتُ دهـــــراً ولا يــــدومُ عــلى الأيـــ
ـــــامِ إلاَّ يَــــــرَمْـــــرَمٌ وتِــــعَـــارُ

وكُـــــــــلافٌ وضـــلـــفـــعٌ وبـــضـــيـــعٌ
والّـــــذي فَـــــوْقَ خُـــبَّــة ٍ، تِـــيـــمَارُ

والـــنـــجـــومُ الـــتــي تــتــابــعُ بـالـلـيــ
ـــلِ وفـــيــهــا ذاتَ الــيَــمــيـنِ ازْوِرارُ

دائِــــبٌ مَــــوْرُهـــا، ويـــصـرِفُــهـا الـغَـوْ
رُ، كـــما تــعــطِــفُ الهـــجـــانُ الـــظُّـــؤَارُ

ثـــــمّ يــعــمَــى إذا خـــفــينَ عــلــيـنَـا
أطِـــــــوَالٌ أمْـــرَاسُـــهـــا أمْ قِـــصَـــارُ

هَـــلَـــكَـــتْ عـــامِــرٌ فــلَــمْ يَـــبْــقَ منها
بـــرِيـــاضِ الأعـــــرافِ إلاَّ الــــدّيـــارُ

غـــــيرُ آلٍ وعـــــنَّــــة ٍ وعـــريـــشٍ
ذَعْـــذَعَـــتْــهـا الـــرّيـــاحُ والأمْـــطـــارُ

وأرَى آلَ عــــامِــــرٍ وَدَّعُــــــوني

غـــيرَ قـــومٍ أفـــراســـهُــــمْ أمـــهـــارُ

واقـــفـــيــهـــا بـــكـــلِّ ثـــغـــرٍ مخـــوفٍ

هُـــم عـلَـيـهـا لـعَـمْـرُ جَـــدّي نُـضَـــارُ

لمْ يهـيـنـوا المـــولى عـــلى حـــدثِ الـــدّهْـــ

ـــــرِ وَلا تجـــتــويهِـــمْ الأَصْـــهـــارُ

فـــعَـــلى عـــامِـــرٍ ســـلامٌ وحمـــدٌ

حَـــيـــثُ حَـــلّـــوا مـــنَ الـــبـــلادِ وســـارُوا (٢١)

وأيضاً:

أرَى الـــنّـــفـــسَ لجّـــتْ في رَجـــاءٍ مُـــكَـــذِّبِ

وقـــد جـــرّبـــتْ لـــوْ تـــقـــتـــدي بـــالمـجـــربِ

وكـــائـــنْ رأيـــتُ مِـــنْ مـــلـــوكٍ وســـوقـــةٍ

وَصـــاحَـــبْـــتُ مِـــن وَفـــدٍ كـــرامٍ ومَـــوكِـــبِ

وســـانَـــيْـــتُ مِـــن ذي بَهْـــجَـــةٍ ورَقَـــيْـــتُـــهُ

عـــلـــيـــهِ الـــسّـــمـــوطُ عـــابـــسٍ مـــتـــغـــضّـــبِ

وفـــارَقْـــتُـــهُ والـــــوُدُّ بَـــيـــنـــي وبَـــيـــنَـــهُ

بـــحـــســـنِ الـــثـــنـــاءِ مـــنْ وراءِ المـــغـــيّـــبِ

وَأَبَّـــنْـــتُ مِـــنْ فَـقْـدِ ابــنِ عَــمٍّ وخُـلَّـةٍ
وفــارَقْــتُ مــن عَــمٍّ كــريــمٍ ومــن أبِ
فـبـانُـوا ولمْ يحـدثْ عـليَّ سبـيـلـهُـمْ
ســوَى أمَـلي فـيـما أمـامـي ومـرغـبـي
فَـأيَّ أوَانٍ لا تجِـئْـنـي مَـنِـيَّـتـي
بـقَـصْـدٍ مِـنَ المَـعْـرُوفِ لا أتَـعَـجَّـبِ
فـلـسـتُ بـركـنٍ مـنْ أَبــانٍ وصـاحـةٍ
وَلا الخـالـداتِ مِـنْ سُـوَاجٍ وغُـرَّبِ
قـضـيـتُ لـبـانـاتٍ وسـلـيـتُ حـاجـةً
ونـفـسُ الـفـتـى رهـنٌ بـقـمـرةِ مـؤربِ
وفـيـتـانِ صـدقٍ قـد غَـدوتُ عـلـيـهـمُ
بِـلا دَخِـنٍ وَلا رَجـيـعٍ مُجَـنَّـبِ
بـمـجـتـزفٍ جـونٍ كـأَنَّ خـفـاءَهُ
قَـرَا حَـبَـشِيٍّ في الـسَّرَوْمَـطِ مُحْـقَـبِ[٢٢]

النابغة الجعدي

هو قيس بن عبدالله بن عمرو عُدَس بن ربيعة بن جعدة العامري، المكنى أبو ليلى. مادح النبي صلى الله عليه وسلم، صحابي من القدماء المعمرين والشعراء المخضرمين، ووُصَّاف الخيل

المشهورين، اشتهر في الجاهلية، وكان أحد شعراء المعلقات، تميزت قصائده بالروح الإسلامية القوية، وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ففكر في الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وذكر دين إبراهيم، وصام واستغفر. وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحــــــمـــــــــد لله لا شريـــــــــك لـــه

مَـــــن لم يَـــقُـــلْـــهـــا فَـــنَـــفْـــســـه ظَـــلَـــمـا[٢٣]

وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثمَّ نبغ فقاله، فقد قال الشعر في الجاهلية ثم استعصى عليه دهراً، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً، وكان يَرِدُ على الخلفاء، فورد على عمر، ثم على عثمان، وعاش طويلاً في الإسلام، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضي الله عنه، فأحس بضعف في نفسه، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية، فأذن له، ثم لما كانت خلافة علي أدرك صفين فشهد وقائعها معه، وظاهره بيده ولسانه، ونال من معاوية وبني أمية، ومات بأصبهان سنة ٥٨ﻫ بعد أن عمّر مائة وثمانين سنة[٢٤].

يعد النّابِغَةِ الجَعدِيّ من وصّافي الخيل المشهورين، فكان ممن يصفون الخيل ، فلا يُلحق له في ذلك غبار، فقد قال الأصمعي: ثلاثة يصفون الخيل لا يقاربهم أحد: طفيل الغنوي، وأبو دؤاد الإيادي، والنابغة الجعدي، وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير[٢٥].

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام، وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعني إلى غيرها وتبعه الناس بعد، إذ قال:

أكـــنـــي بــغـــير اســمـــهـــا وقـــــد عـلـم

لله خَـــفــيَّـــات كـــــلّ مُــــكْـــتــــم[٢٦]

ومن أشرف شعر النابغة الجعدي قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي قصيدة طويلة تحوي نحو مئتي بيت.

ونقل عن الشعبى أنه قال: أنشد نابغة بني جعده النبى صلى الله عليه وسلم هذا البيت :

بـلـغـنـا الـســما مجـــدا وجـــــودا وســــؤددا

وإنـــــا لــنــرجـــو فــــوق ذلـــك مـظـهـرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «إلى أين يا أبا ليلى»؟ فقال: إلى الجنة بك يا رسول الله! قال: «نعم؛ إن شاء الله».

ولما أتم قصيدته، قال له النبى صلى الله عليه وسلم:: أجَدْت، لا يفضِض الله فاك»! فبنو جعدة يزعمون أنه كان إذا سقطت للنابغة سن نبتت مكانها أخرى، فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضَّت من فيه سِنٌّ[٢٧].

وفي مطلع القصيدة يقول:

خَــلِــيــلَيَّ عُــوجــا ســاعَـــةً وَتَهَـــجَّـــرا

وَلُــومــا عَــلى مــا أَحـــدَثَ الـــدَهـــرُ أَو ذَرا

وَلا تَجــزَعـــا إِنَّ الحَـــيَـــاةَ ذَمِــيــمَــةٌ

فــخِــفّــا لِـــروعَـــاتِ الحَــــوَادِثِ أَو قِــرا

وَإِن جـــاءَ أَمـــرٌ لا تُـطِـيـقانِ دَفـعَـهُ
فَــلا تَجـزَعَــا مِمّـــا قَــضى اللهُ وَاصـبِرا
أَلَم تَـــرَيــا أَنَّ المَـــلامَـــةَ نَـفـعُـها
قَـلِـيـلٌ إِذا مـا الـشيءُ وَلّى وَأَدبَـــرا
تَهِـيـجُ الـبُـكـاءَ وَالـنَّـدامَـةَ ثُـمَّ لا
تُـغَـيِّرُ شَـيـئاً غَـيرَ مـا كـانَ قُـدِّرا
أَتَــيــتُ رَسُـولَ اللهِ إِذ قـام بـالهُـدى
وَيَـتـلُـو كِـتـابـاً كـالمَـجَـرَّةِ نَـيِّرا
خَـلِـيـلَيَّ قَـد لاقَـيـتُ مـا لَم تُـلاقِـيـا
وَسَـيَّرتُ في الأَحـيـاءِ مَـا لَم تُـسِـيِّرا
تَـذَكَّـرتُ والـذِّكـرى تَهِـيـجُ لِـذي الهَـوى
وَمِـن حـاجَـةِ المَـحـزونِ أَن يَـتَـذَكَّـرا
نَـدامـايَ عِـنـدَ المُـنـذِرِ بـنِ مُحَـرِّقٍ
أَرَى الـيَـومَ مِنهُمُ ظَـاهِـرَ الأَرضِ مُـقـفِـرا[٢٨]

وفي القصيدة أبيات من أحسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة، وفي هذا الشعر مما أنشده رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَمَـهـما يَـقُـل فـيـنا الـعَـدُوُّ فَـإِنَّهُـم
يَـقُـولـونَ مَـعـروفـاً وَآخَـرَ مُـنـكَـرا

فَـما وَجــــدَتْ مِـــن فِـــرقَـــةٍ عَـــرَبِـــيَّـــةٍ
كَـفـيــلاً دَنــا مِــنّــا أَعَـــــزَّ وَأَنــــــصَرا

وَأَكـــــثَـــــرَ مِــنّــا نــاكِــحــاً لِـغَــريــبَــةٍ
أُصــيــبَــت سِــبــاءً أَو أَرادت تَخَــيُّرا

وَأَسرَعَ مَّــنــا إِن أَرَدنـــــا اِنــصِرافَــةً
وَأَكـــثَـــرَ مِـــنّـــا دارِعـــــيـــنَ وحُـــسَّرا

وَأَجـــــدرَ أَن لاَ يَــتـرُكُــوا عَــانِــيــاً لَهُـم
فَـيَــغــبُرُ حَــــولاً في الحَــديــدِ مُــكَــفَّــرا[٢٩]

وأيضاً قوله:

وَنُــنــكِــر يَــومَ الــــرَوعِ أَلــــوانَ خيلِنا
مِـن الـطَـعـنِ حَـتّـى تَحـسِـبَ الجَــونَ أشـقَـرا

وَنَـــحـــنُ أُنـــــاسٌ لا نُــعَـــوِّدُ خَــيـلَـنـا
إِذا مــا الـتـقـيـنـا أَن تَحَـيـدَ وَتَــنـفِـرا

وَمـــا كـــانَ مَـعـروفـاً لَـنـا أَن نَـرُدَّهـا
صِـحـاحـاً وَلا مِـسـتَـنـكـراً أَن تُـعـقَّـرا

بَـلَـغـنَـا الـسَّـما مَجـداً وَجـــوداً وَسُـــؤدَداً
وَإِنّـــا لَـنـرجُـو فَـــوقَ ذَلِـــكَ مَـظـهَـرا

وَكُـــلَّ مَــعَــدٍّ قَــد أَحَـــلَّــت سُـيـوفُـنـا

جَـوانِـبَ بَـحـرٍ ذِي غَـــــوَارِبَ أَخـــضَرا

وَلا خَـــيرَ فِي جَــهــلٍ إِذَا لَم يَــكُــن لَــهُ

حَـلِـيـمٌ إِذَا مـا أَورَدَ الأَمـــــرَ أَصـــدَرا

وَلا خــيرَ فِي حِــلــمٍ إِذَا لَم تَــكُــن لَــهُ

بَــــوَادِرُ تَحـمـي صَـفـوَهُ أَن يُـكَـدَّرا

فَـفِـي الحِـلـمِ خَـيرٌ مِـن أُمـــورٍ كَـثـيرَةٍ

وفِي الجَـهــلِ أَحـيـانـاً إِذا مـا تَـعَـذَّرا

كَـــذاكَ لـعـمـرِي الـدَهـرُ يَـومـانِ فـاعـرِفـوا

شُرورٌ وَخـــيرٌ لا بَـلِ الـــشَرُّ أَكـــثَـــرا(٣٠)

ومن أشعار النابغة الجعدي الأخرى:

إِمّـــا تَـــري ظُـلَـلَ الأَيـــامِ قَــد حَــسَرَت

عَـــنّـي وشـــمَـــرتُ ذيـــلاً كـــانَ ذَيّـــالا

وَعــمَّـمـتـني بَـقـايـا الـدَهـرِ مِـن قُـطُـنٍ

فَـــقَـــد أُنَـــضِّــجُ ذا فِـــرقـــينِ مَـــيّـــالا

فَـقَـد تَــــرُوعُ الــغَــواني طَـلـعَـتـي شَـعَـفـاً

يَـنـصُـصـنَ أَجـيـادَ أُدمٍ تَـرتَـعـي ضـالا

فِي غُـــرَّةِ الـــدَهــرِ إِذ نُــعــمانُ ذُو تَـبَـعٍ

وَإِذ تَـــرى الــنــاسَ فِي الأَهــــواءِ هُمّــالا

حَــتّــى أَتَـــى أَحمَـــدُ الــفُــرقــانُ يَــقــرَأُهُ

فِــيــنــا وَكُـــنّـــا بِــغَــيــبِ الأَمــــرِ جُــهّــالا

فَــالحــمــدُ للهِّ إِذ لَم يــأتِــنــي أَجَـــلي

حَــتّــى لَــبِــســتُ مِــنَ الإِســـلامِ سِربـــالا[٣١]

ومما قاله أيضاً:

الحَـــــمــــدُ للهِّ لاَ شَرِيـــــــكَ لَـــهُ

مَـــن لَم يَـــقُــلــهـــا فَـــنَــفــسَــهُ ظَــلَـــما

المُـــــولِـــــجِ الـــلـــيـــلَ فِي الـــنــهـــارِ

وَفِي الــلــيــلِ نَهــــاراً يُــــفــــرِّجُ الــظُّــلَـــما

الخَـــافِـــضِ الـــرافِـــعِ الـــسَـــماءَ عَـــلى ال

أَرضِ وَلَم يَـــبــنِ تَحـــتَــهـــا دِعَـــما

الخَـــالِـــقِ الـــبــــارِئِ المُـــصَـــوِّرِ فِي ال

أَرحــــامِ مــــاءً حَــتّــى يَــصِـــيرَ دَمــا

مِـــن نُـــطــفَـــةٍ قَـــدَّهـــا مُــقـــدّرُهـــا

يَخـــلُـــقُ مِـــنــهـــا الأَبـــشـــارَ وَالـــنَـــسَـــما

ثُـــمَّ عِـــظَـــامـــاً أَقَـــامَـــهـــا عَـــصَـــبٌ
ثُـــمَّـــتَ لَحـــمـــاً كَـــســـاهُ فَـــالـــتـــأَمـــا
ثُـــمَّ كَـــســـا الـــرِيـــشَ والـــعَـــقـــائِـــقَ أَب
شـــــاراً وَجِـــلـــداً تَخـــالُـــهُ أَدَمـــا
وَالـــصـــوتَ وَالـــلَـــونَ وَالَمـــعـــايِـــشَ وَال
أَخـــلاقَ شَـــتّـــى وَفَـــرَّقَ الـــكَـــلِـــما
ثُـــمَّـــتَ لاَ بُـــدَّ أَن سَـــيَـــجـــمَـــعُـــكُـــم
وَاللَّهَ جَـــهـــراً شَـــهـــادَةً قَـــسَـــما
فَـــائـــتَـــمِـــرُوا الآنَ مـــا بَـــدا لَـــكُـــمُ
وَاعـــتَـــصِـــمُـــوا إِن وَجَـــدتُـــمُ عِـــصَـــما
فِي هـــذِهِ الأَرضِ وَالـــسَـــماءِ وَلا
عِـــصـــمَـــةً مِـــنـــهُ إِلاَّ لِمَـــن رَحِمـــا
يـــا أَيُّهـــا الـــنـــاسُ هَـــل تَـــرَونَ إِلى
فَـــارِسَ بـــادَت وَخَـــدُّهـــا رَغِـــما
أَمـــسُـــوا عَـــبِـــيـــداً يَـــرعَـــونَ شـــاءَكُـــمُ
كَـــأَنَّـــما كـــانَ مُـــلـــكُـــهُـــم حُـــلُـــما
مِـــن سَـــبَـــأَ الحـــاضِـــريـــنَ مـــآرِبُ إِذ
يَـــبـــنُـــونَ مِـــن دُونِ سَـــيـــلِـــهِ الـــعَـــرِما

فَــمُـــزِّقُـــوا فِي الــبِـــلادِ واعـــتَرَفُـــوا
الهــــونَ وَذاقُـــــوا الــبَـــأســـاءَ والــعَــدَمـــا
وَبُـــدِّلُـــوا الـــسِــدرَ وَالأَراكَ بِـــهِ الخَـــم
طَ وَأَضـــحـــى الــبُـــنـــيـــانُ مُـــنـــهَـــدِمـــا
يـــا مـــالِـــكَ الأَرضِ وَالـــسَـــمــاءِ وَمَـــن
يَـــفـــرَق مِـــنَ اللهَ لا يَخَـــف أَثَـــا
إِنِّي اِمـــرُؤٌ قَـــد ظَـلَـمـتُ نَـفـسِي وَإِلاَّ
تَـــعـــفُ عَـــنّـــي أُغـــلا دَمـــاً كَـــثِـــا
أُطـــرَحُ بِـــالــكـــافِــريــنَ في الـــدَرَكِ ال
أَســـفَـــلِ يَـــا رَبِّ أَصـــطَـــلي الـــصَرِمـــا
يَـــرفَـــعُ بـــالــقـــارِ والحَـــدِيـــدِ مِـــنَ ال
جَـــوزِ طِــــوالاً جُـــذُوعُـــهـــا عُـــمُـــا
نُـــودِيَ قُـــم وَاركَـــبَـــن بِـــأَهـــلِـــكَ إِنَّ
اللهَ مُـــوفٍ لِـــلـــنـــاسِ مـــا زَعَـــمـــا[٣٢]

ومن جميل ما قاله:

بـــاتَـــت تُـــذَكِّــــرُنِي بِـــــاللهَ قــــاعِـــدَةً
وَالـــدَمـــعُ يَـــنـــهَـــلُّ مِـــن شَـــأنَـــيــهِـــا سَـــبَلا

يـا بـنَـةَ عَـمِّـي كِـتـابُ اللهِ أَخـرَجَـنـي
عَـنـكُـم وَهَــل أَمـنَـعَــنَّ اللهَ مـا فَـعَـلا
فَــإِن رَجَـعـتُ فَــرَبُّ الـنـاسِ يُـرجِـعُـني
وَإِن لَحِـقـتُ بِــرَبّي فَـابـتَـغـي بَـدَلا
مـا كُـنـتُ أَعــرَجَ أَو أَعـمًـى فَـيَـعـذِرَني
أَو ضـارِعـاً مِـن ضَنًـى لَم يَستَطِع حِـوَلا(٣٣)

وأيضاً قوله:

لَــبِـســتُ أُنـــاســاً فَـأَفـنَـيـتُـهُـم
وَأَفــنَــيــتُ بَـعــدَ أُنـــاسٍ أُنـاسـا
ثَـــلاثَـــةَ أَهــلــيـنَ أَفـنَـيـتُـهُـم
وَكــانَ الإِلــهُ هُــوَ المُـسـتـآسـا
وَعِـــشـــتُ بِـعَـيـشَـيـنِ إِنَّ الـمَـنـونَ
تَـلَـقّـى المَـعـايِـشَ فِـيـهـا خِـسَـاسـا
فَـحِـيـنـاً أُصـــادِفُ غِــرّاتِهـا
وَحِـيـنـاً أُصـــادِفُ مِـنـهـا شِـمَـاسـا
نَـشَـأتُ غُــلامـاً أُقــاسِي الحُــروبَ
وَيَـلـقـى المُـقـاسُـونَ مِـنّـي مِـراسـا

وَحُمــــــرٍ مِـــنَ الـطَـعـنِ غُـلـبِ الـرِقـا
بِ كَــالأُسـدِ يَـفـتَرِسُـونَ افِـتِرَاسـا

شَـهِـدتُهُـم لا أُرَجِّـي الحَـيا
ةَ حَـتّـى تَـسـاقَـوا بِـسُـمرٍ كِـيَـاسا

وَخَـيـلٍ يُـطـابِـقـنَ بِـالـدّارِعِـينَ
طِـبـاقَ الـكِـلابِ يَـطَـأنَ الهَـراسـا

فَـلَـمّا دَنَـونـا لِجَـرسِ الـنُـبـوحِ
وَلا نُـبـصِرُ الحَـيَّ إِلاَّ الـتِـماسـا

أَضـاءَت لَـنـا الـنـارُ وَجـهاً أَغَـرَّ
مُـلـتَـبِـساً بِـالـفُـؤادِ الـتِـبـاسـا

يُـضيءُ كَـضـوءِ سِراجِ الـسَـلِـيـطِ
لَم يَجـعَـلِ اللهُ فِـيـهِ نُـحـاسـا(٣٤)

وينقل واضح الصمد في تحقيقه لديوان النابغة عن ابن سلاّم في طبقات فحول الشعراء أن معاوية بن أبي سفيان كان كتب إلى مروان ين الحكم فأخذ ابن النابغة وإبله بالمدينة، فدخل النابغة على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان، فأنشده:

فَـمَـن راكِـبٌ يـأتي إِبـنَ هِـنـدَ بِـحاجَـتي
عَـلى الـنّـأيِ وَالأَنـبـاءُ تُـنـمي وَتُجـلَـبُ

وَيخـــبرُ عَـنّـي مـا أَقُـــولُ إِبـــنَ عـامـرٍ
وَنِـعـمَ الـفَـتَـى يـــأَوي إِلــيـهِ المُـعَـصَّـبُ
فَــــإِن تَــــأخُـــذُوا أَهـــلي وَمــــالي بِـظِـنَّـةٍ
فــــإِنّي لَجَــــرّابُ الـــرِجـــالِ مُجَـــرَّبُ
صَــبــورٌ عَــلى مــا يَــكــرَهُ المَـــرءُ كُـلَّــهُ
سِـــوَى الـظُـلـمِ إِنّي إِن ظُـلِـمـتُ سَـأَغـضَـبُ

فأمر معاوية مروان أن يرد على النابغة كل شيء أخذه منه(٣٥).

وتلك الأبيات من قصيدة طويلة منها:

وَمَـــولىً جَـفَـت عَـنـهُ المَـــوالي كَـأَنَّـما
يُـــرى وَهُـــوَ مَـطـلِيٌّ بِـــهِ الــقــارُ أَجـــرَبُ
رَثِـمــتُ إِذا لَم تَـــرأَمِ الــبـــازِلُ إِبـنَـهـا
وَلَم يَـــكُ فـيـهـا لِـلـمُـبِـسِّـينَ مَحـلَـبُ
وَصَــهــبــاءَ لا تُخـفـي الـقَـذى وَهــيَ دُونَـــهُ
تُـصَـفَّـقُ في رَاوُوقِــهـــا ثُــمَّ تُـقـطَـبُ
شَربــــتُ بِهـــا وَالـــديـــكُ يَـدعـو صَـبـاحَـهُ
إِذا مـا بَـنُـو نَـعـشٍ دَنـــوا فَـتَـصَـوَّبـوا
وَبَـيـضـاءَ مـثـلِ الـرِّئـمِ لَـو شِـئـتُ قَـد صَبَت
إِليَّ وَفـيـهـا لِـلـمُـحـاضِرِ مَـلـعَـبُ

تجَـنَّـبْـتُـهـا إِنّي امـــــرؤٌ في شَـبِـيـبـتـي
وَتِـلـعـابَـتـي عَــن رَيـبَــةِ الجـــارِ أَنـكَــبُ

وَخَـــــرقٍ مَـــــــرُوراةٍ يَحـــارُ بِهـــا الـقَـطـا
تُــــــرَدِّدُ فِــيـــهِ هَمَّــــــهُ أَيـــــنَ يَـذهَــبُ

قَــطَـعــتُ بِهَـــوجـــاءِ الـنَـجـاءِ كَـأَنَّهـا
مَــهــاةٌ يُـراعِـيـهَـا بِـحَـربَـةِ رَبـــربُ

تَحُــــلُّ بِــأَطــرافِ الـوِحــافِ وَدارُهـــا
حَــوِيــلٌ فَـرَيـطـاتٌ فَـرَعـمٌ فَـأَخـرَبُ

فَـسـاقـانِ فَـالحَـرّانِ فَـالـصِـنـِعُ فَـالـرَجـا
فَـجَـنـبَـي حِمـــىً فَـالخـانِـقـانِ فَـجَـبـجَـبُ

وَداهِـــيَـــةٍ عَـمـيـاءَ صَـــمّاءَ مُـذكِـرٍ
تُــدِرُّ بِـسُــمٍّ مِــن دَمٍ يَـتَـحـلَّـبُ

وَنُـــؤيٍ كَــأَخــلاقِ الـنَـضـيـحِ تَـعـاوَنَـت
عَـلَـيـهِ الـقِـيـانُ بِـالـسَـاخِـيـنِ يُـضـرَبُ

أَقـامَـت بِـهِ مـا كـانَ في الــدّارِ أَهـلُـها
وَكــانُــوا أُنـاسـاً مِـن شَـعُـوبَ فَـأَشـعَـبُـوا

تَحَــمَّــلَ مَــن أَمـسـى بِهـا فَـتَـفَـرَّقُـوا
فَـريـقَـيـنِ مِـنـهُـم مُـصـعِـدٌ وَمُـصَـــوِّبُ[٣٦]

ومن شعر النابغة الجعدي:

وَلَـيـسَـت بِـشَـوهـاءَ مَـقـبـوحَـةٍ
تُـوافِي الـدِيـارَ بِـوجـهٍ غَـبِرْ
فَـذَر ذا وَعَـدِّ إِلى غَـيرِهِ
فَـشَرُّ المَـقـالَـةِ مـا يُـعـتَـسرَ
وَمـا الـبَـغـيُ إِلاَّ عَـلى أَهـلِـهِ
وَمـا الـنـاسُ إِلاَّ كـهـذي الـشَـجَـر
تَـرَى الـغُـصـنَ في عُـنـفُـوانِ الـشَـبا
بِ يَهـتَـزُّ في بَهَـجـاتٍ خُـضر
زَمـانـاً مِـنَ الـدَهـرِ ثُـمَّ الـتَـوى
فَـعـادَ إِلى صُـفـرَةٍ فـاِنـكَـسر
وَكَـم مِـن أَخِـي عَـلـيَـةٍ مُـقـترٍ
تَـأَتَّـى لَـهُ المـالُ حَـتّـى اِنـجَـبر
وَآخَـرَ قَـد كـانَ جَـمَّ الـغِـنـاءِ
رَمَـتـهُ الحَـوادِثُ حَـتّـى اِفـتَـقَـر
وَكَـم غـائـبٍ كـانَ يَخـشَـى الـرَدى
فَـآبَ وَأَودَى الَّـذي في الحَـضر(٣٧)

عامِر بن الطُفَيل

عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري، ابن عم الشاعر لبيد الصحابي، ولد ونشأ بنجد، وخاض المعارك الكثيرة، فارس فتاك، وهو من أشهر فرسان العرب نجدة، ومن أشهر خطبائهم، وأحد شعراء قومه وساداتهم في الجاهلية، وقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب سأل عن علاقته بعامر، فإن كان بينه وبينه رحم ووشيجة قرَّبه وأكرمه، وكان عامر أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى[٣٨]، وقيل إنه أدرك الإسلام وناوء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولم يدخل الإسلام.

وكان عامر مع شجاعته سخيا حليما، وفي تأبين جبار بن سلمى لعامر بن الطفيل ما يكشف عن جرأة الرجل وصبره وبأسه وصولته، إذ قال عنه: كان لا يعطش حتى تعطش الإبل ، ولا يضل حتى يضل النجم ، ولا يجبن حتى يجبن الليل، ولا يقف حتى يقف السيل، وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً [٣٩].

كان عامر فارساً شجاعاً اشتهر بالشدة والبأس، وبركوب الخيل، وقد طغى الحديث عن فروسيته والأيام التي خاضها على الحديث عن شاعريته عند القدماء، فهو من الشعراء الذين قصَّروا شعرهم إلى حد كبير على المواقع والأيام [٤٠]، فتكثر في شعر عامر أسماء الأسلحة، كالسيوف والرماح والدروع، يتغنى بها غناء شغف ونشوة، ويذكر الخيل والنياق المشاركة بالقتال، وتتعدد معاني الثأر والبطش، وفي قصائده ذكر للقبائل التي أوقع بها وثأر منها، وأسماء الأماكن التي تواقع معهم فيها، كما أن شعر عامر صورة ناطقة بشخصيته فترى فيه اعتزازه بشجاعته وفروسيته، وإباءه، وحبه لفرسه، وفي شعره تغلب كذلك نزعة الفخر بقومه.

كان من أكثر ما اشتهر به شعر عامر بن الطفيل الفخر والحماسة، وكان له في ذلك ديوان، ومن شعر الفخر لديه:

إني وإنْ كنتُ ابنَ سَيّدِ عَامِرٍ
وفارِسَهَا المَنْدوبَ في كلّ مَوكِبِ

فَما سَوّدَتْني عامِرٌ عَنْ قَرابَةٍ
أَبَى اللهُ أنْ أسْمُو بِأُمّ ولا أبِ

وَلَكِنّني أحْمي حِمَاها وأتّقي
أذاها وأرْمي مَنْ رَماها بِمَنْكِبِ[41]

وكذلك:

بَني عامِرٍ غُضّوا المَلامَ إلَيْكُمُ
وهاتُوا فعُدّوا اليومَ فيكمْ مَشاهدي

ولا تَكْفُرُوا في النّائِباتِ بَلاءَنَا
إذا عَضّكُمْ خَطْبٌ بإحدى الشّدائدِ

سَلوا تُخْبَروا عَنّا غَداةَ أُقَيصِرٍ
وأيّامَ حِسْمَى أو ضَوارِسَ حاشِدِ

وبالكَوْرِ إذْ ثابَتْ حَلائِبُ جعفرٍ
إلَيكُمْ وجاءَتْ خَثْعَمٌ للتّحاشُدِ

لـيَـنْـتَـزِعُـوا عِـلْـقـاتَـنـا ثُـمّ يَـرْتَـعُـوا

فـــــأرْدَتْ قَـنـاتي مـنـهُـمُ كُـلّ مَـاجِـدِ

فـأنْـفَـذْتُ عَـبـدَالله ثَـمّ بـضَرْبَـة

وقَـدْ خـامَ عَـنْـهـا كـلُّ حـامٍ وذائِـدِ

تـرَكْـتُ صَريـعـاً بـالـعَـراءِ مُجَـدَّلاً

ضُبَـيْـعَـة إذْ نَـجّـى شُـتَـيْرَ بـن خـالـدِ

طِـمِـرٌّ وزَيْـدُ الخَـيْـلِ قـد نـالَ طَـعْـنَـةً

إذِ المَـرْءُ زَيْـدٌ جـائِـرٌ غَـيرُ قـاصِـدِ

فَـذَلِـكَ مـا أعْـدَدْتُ في كـلّ مـأقِـطٍ

كَـريـهٍ وعَـامٍ لـلـعَـشِـيرَةِ آئِـدِ(٤٢)

ومن أبلغ أبياته في الفخر:

ومـا الأَرْضُ إلاّ قَـيـسُ عَـيْـلانَ أهـلُـهـا

هُـم سـاحَـتـاهـا سَـهـلُـهـا وحُـزُومُـهَـا

وقَـدْ نـالَ آفـاقَ الـسّـماواتِ مَجـدُنَـا

لَـنَـا الـصّـحْـوُ من آفـاقِـهـا وغُـيُـومُـهَـا(٤٣)

وقال أيضاً مفتخرا بقومه:

وجِـيـاداً لَـنـا نُـعَـوّدُهـا الإقْـ

ـدامَ إنْ غـارَةٌ بَـدَتْ وازْبَـأرّتْ

مُـــقْـــرَبـــاتٍ كـــالهِـــيـــمِ شُـــعْـــثَ الـــنّـــواصي
قـــد رَفَـــعْـــنـــا مِـــنْ حُـــضْـــرِهـــا فـــاســـتَـــدَرّتْ
بِـــشَـــبـــابٍ مِـــنْ عـــامِـــرٍ تَـــضْـــرِبُ الـــبَـــيْـــ
ـــضَ إذا الخَـــيْـــلُ بـــالمَـــضـــيـــقِ اقـــشَـــعَـــرّتْ
بـــمَـــضـــيـــقٍ تَـــطـــيرُ فـــيـــهِ الـــعَـــوالي
حـــيـــنَ هَـــرّتْ كُـــماتُهـــا واســـتَـــحَـــرّتْ
يـــضـــربـــونَ الـــكُـــماةَ في ثَـــوْرَةِ الـــنّـــقْـــ
ـــعِ إذا حَـــرْبُهُـــمْ بَـــدَتْ واســـجَـــهَـــرّتْ
وأثـــارَتْ عَـــجـــاجَـــةً بَـــعْـــدَ نَـــقْـــعٍ
وصَـــهـــيـــلٍ مُـــسْـــتَرْعَـــدٍ فـــاكْـــفَـــهَـــرّتْ
بـــجِـــيـــادٍ غَـــدَتْ بِـــجَـــمْـــعٍ عَـــزيـــزٍ
وأصـــابَـــتْ عُـــداتَهـــا فـــأضَـــرّتْ(٤٤)

وله في الفخر بقومه كذلك:

لـــلـــمُـــقْـــرَبـــاتِ غُـــدُوٌّ حِـــيـــنَ نُـــحْـــضِـــرُهـــا
وغـــارَةٌ تَـــسْـــتَـــثِـــيرُ الـــنّـــقْـــعَ في رَهَـــجِ
فَـــما يُـــفـــارِقُـــنـــي المَـــزْنُـــوقُ مُحْـــتَـــمِـــلاً
رِحـــالَـــةً شَـــدَّهـــا المِـــضْـــمارُ بـــالـــثّـــبَـــجِ

إذا نَـعَـى الحَــــرْبَ نـاعُـوهـا بَــــدَتْ لَهُـمُ
أَبْـــنــــاءُ عـــامِـــرَ تُــزْجِـــي كُــــلّ مُحْـــترَجِ

عَـلَـيْـهِـمُ الـبَـيْـضُ والأبـــــدانُ سَــابِـغَـةً
يُـقَـحِّـمُـونَ كـــأَنّ الــقَـــوْمَ في رَهَـــجِ

صَـبَـحْـنَ عَـبْـسـاً غَـــداةَ الــــرَّوْعِ آوِنَـــةً
وهُـــنّ عـــالَـيـنَ بـابـنِ الجَـــوْنِ في دَرَجِ

وانــقَـضّــتِ الخـيــلُ مــن وادي الــذِّنــابِ
وقــد أصْـغَـتْ أسِـنّـتَـهـا حُـمْــراً مـــنَ الـــوَدَجِ

إنْ تَـســألي الخَـيــلَ عَـنّــا في مَـواقِـفِـهـا
يَـــوْمَ المُـشَـقَّــرِ والأبْـــطـــالُ في زَعَـــجِ

تُخْـــبِرْكِ أنّي أُعِـــيـــدُ الــكَــرَّ بَـيْـنَـهُـمُ
إذا الـقَـنَـا حُـطِـمَـتْ في يـومِ مُـعـتَـلَـجِـص[٤٥]

وله أيضاً:

لَـقَـدْ تَـعْـلَـمُ الخَـيْـلُ المُـغِـيرَةُ أنّـنَـا
إذا ابْـتَـدَرَ الـنّـاسُ الـفَـعـالَ أُسُـودُهَـا

عـلى رَبِـــذٍ يَــزْدادُ جَـــوْداً إذا جَـرَى
وقــد قَـلِـقَـتْ تحـتَ الــسّروجِ لُـبـودُهَـا

وقــد خُـضِـبَـتْ بـالمـاءِ حـتى كَـأنّـما

تَـشَـبّـهُ كُـمْـتَ الخَـيـلِ مـنـهـنّ سـودُهَـا

ونَـحْـنُ نَـفَـيْـنا مَـذْحِـجـاً عـن بِـلادِهـا

تُـقَـتَّـلُ حـتى عـادَ فَـلاًّ شَـديـدُهَـا

فـأمّـا فَـريـقٌ بـالمَـصـامَـة مِـنْـهُـمُ

فَـفَـرّوا وأُخـرَى قـد أُبـيـرَتْ جُـدودُهَـا

إذا سَـنَـةٌ عَـزّتْ وطـالَ طِـوالُهـا

وأقْـحَـطَ عَـنـها الـقَـطـرُ واصـفَـرّ عُـودُهـا

وُجِـدْنـا كِـرامـاً لا يُحَـوَّلُ ضَـيـفُـنا

إذا جَـفّ فَـوْقَ المَـنـزِلاتِ جَـلـيـدُهَـا

وقــد أصـبَـحَـتْ عِـرْسي الـغَـداةَ تلومُني

عـلى غَـيرِ ذَنْـبٍ هَـجـرُهـا وصُـدودُهـا

فــإنّي إذا مـا قُـلـتُ قَـوْليَ فـانْـقَـضى

أتَـتْـني بـأُخـرَى خُـطّـةٌ لا أُريـدُهَـا

فَـلا خَـيرَ في ودّ إذا رَثّ حَـبْـلُـهُ

وخَـيرُ حِـبـالِ الـوَاصِـلـينَ جَـديـدُهَـا(٤٦)

وكذلك:

وَفَــدْنَـا فَــآوَيْـنَـا بــأشْرافِ دارِمٍ
غـداةَ جَـزَيْـنـا الجَـوْنـبـالجَـوْن صَـيْـلَـما
ولمْ يَـكْـفِـنَـا قَــوْمٌ مَـقـامـاً ولمْ نَـعُـذْ
بـغَـيرِ الـقَـنـا في خَـشْـيَـةٍ أوْ تَجَـرُّمَـا
وَلَمْ أرَ قَــوْمــاً يَــرْفَـعُـونَ لِـواءَهُـمْ
لـغـايَـتِـنَـا في المَـجْـدِ مِمّـنْ تـكَـلّما
مِـنَ الـنّـاسِ إلاّ يَـعْـرِفُـونَ عَـلَـيْـهِـمِ
لَـنَـا في جَـسـيـمِ الأمْـرِ أن نَـتَـكَـرّمَـا
ونَـحْـنُ الألى قُـدْنـا الجِـيـادَ عـلى الـوَجـا
كـما لَـوّحَ الـقَـوّاسُ نَـبْـعـاً وسـأسَـما(٤٧)

وقال أيضاً:

تجَـنّـبْ نُـمَـيراً ولا تُـوطِـهَـا
فَـإنّ بِهَـا عَـامِـراً حُـضَّرُ
وإنّ رِمَـاحَ بَـنـي عَـامِـرٍ
يُـقَـطِّـرْنَ مِـلْ عَـلَـقِ الأحْمَـرِ

هُــــمُ الجـــــابِـــــرونَ عِـــظـــامَ الـــكَـــســيرِ
إذا مَــــا الـــكَــــسـائِـــرُ لَمْ تُجْــــبَرِ
وهُــــمْ يَـــــضْرِبُــــونَ غَــــداةَ الـــصَّـبَـا
حِ أنْـــفَ الْمُـــدَجَّـــجِ ذي المِـــغْــفَـرِ
يُــقــيـــمُـــونَ لـــلـــحَـــرْبِ أصْـــعــارَهَـــا
إذا ثُــــــوِّرَ الـــقَـــســطَـلُ الأغْـــــبَرُ
كُــــمَاةٌ حُمَــــــاةٌ إذا مَــــا الـــشّـفـا
هُ يَــعْـجِــزُ عَــن ضَــمّـهـا المِـشْــفَـرُ
يُـــطــيــلُــونَ لـــلـــحَــرْبِ تَــكْــرارَهَــا
إذا ألْهِـــبَــــتْ لَهَـــبـــاً تُـــسْـــعَــرُ
وإنّ الـــــذي قَــــدْ أتَـــيْـــتُـــمْ بِـــهِ
سَـــيَـــكْـــذِبُـــهُ عَــنْـكُــمُ المُــخْـــبَرُ
سَـــتَـــعْـــلَـــمُ إنْ رُمْـــتُـــمُـــوهُـــمْ
إذا تَـــلَـــقّـــى كَـــتَـــائِـــبُـهَـــا الحُـــسَّرُ
تَــــبَــــيّـنُ في شُـــبُـــهـــاتِ الأمُـــــورِ
فَــــــإنّ الــــتّــــجــــارِبَ قَــــدْ تُــــؤثَـــرُ
لَــــقَـــدْ كـــانَ فِـــيـــهَا خَـــلا عِـــــبْرَةٌ
وبـــالـــعِـــلْـــمِ يَـــعْـــتَـــبِرُ المُـــبْـــصِرُ

يُـــــلامُ المُــــــفَـــــرّطُ في أمْـــــرِهِ

إذا صَرّحَ الأمْـــــرُ لـــلـمُـــعْــذِرِ[٤٨]

وله من الشعر الكثير مما يفتخر به بنفسه ويعتز بها:

إنّـــنـــي والّـــــــذي يَحُــــجُّ لَـــــهُ الـنّـــا

سُ قَــلـــيــلٌ في عَـــــامِــــرٍ أمْـــثـــالي

يَـــــوْمَ لا مـــالَ لـــلـمُـــحـــارِبِ في الحَـــرْ

بِ سِـــــوَى نَــصْـــلِ أسْـــمَــــرٍ عَــسّــالِ

ولجَـــــــامٍ في رأسِ أجْــــــرَدَ كــالجِــذْ

عِ طُـــــــوالٍ وأبْــــــيَـــضٍ قَــصّـــال

ودِلاصٍ كـــالـــنّــهْـــيِ ذاتِ فُــضُـــولِ

ذاكَ في حَــلْــبَــةِ الحَـــــــــوادِثِ مــالي

ولِـعَــمّــي فَـــضْـــلُ الـــرّئَـــاسَـــةِ والـسّـــ

ـــــنّ وجَـــــدٍّ عـــلى هَـــــــــوازِنَ عَـــالي

غَـــيرَ أنّي أوْلى هـــــــوازِنَ في الحَـــرْ

بِ بـــــضَرْبِ المُـــتَـــوَّجِ المُــخْــتــالِ

وبــطَــعْــنِ الــكَــمــيّ في خَمَـــسِ الـنّـقْـــ

ـــعِ عـلى مَــتْــنِ هَــيْــكَــلٍ جَـــــوّالِ[٤٩]

وفي اعتزازه بنفسه يقول أيضاً:

لَـقَـدْ تَـعْـلَـمُ الحَـرْبُ أنّـى ابـنُـهـا
وأنّـى الهُـمامُ بِـهـا المُـعْـلِـمُ
وأنّي أحُـلّ عَـلى رَهْـوَةٍ
مـنَ المَـجـدِ في الـشّرَفِ الأعـظَـمِ
وأنّي أُشَـمِّـصُ بـالـدّارِعِـيـ
ـنَ في ثَـوْرَةِ الـرَّهَـجِ الأقْـتَـمِ
وأنّي أكُـرّ إذا أحْـجَـمُـوا
بـأكْـرَمَ مِـنْ عَـطْـفَـةِ الـضّـيـغَـمِ
وأضرِبُ بـالـسّـيـفِ يَـوْمَ الـوَغَـى
أقُـدّ بـهِ حَـلَـقَ المُـبْـرَمِ
فَـهَـذا عَـتَـادي لَـوَ انّ الـفَـتَـى
يُـعَـمَّـرُ في غَـيرِ مـا مَـهْـرَمِ
وقَـدْ عَـلِـمَ الحَـيُّ مِـنْ عـامِـرٍ
بـأنّ لَـنَـا ذِرْوَةَ الأجْـسَـمِ
وأنّـا المَـصـالـيـتُ يَـوْمَ الـوَغَـى
إذا مـا الـعَـواويـرُ لَمْ تُـقْـدِمِ (٥٠)

كما يقول:

لـقـد عَـلـمِـتْ عُـلـيـا هَـــوازنَ أنَّــنِـي
أنــا الــفــارس الحــامــي حَـقـيـقـةَ جَـعْـفـرِ

وقـــد عَـــلِـــمَ الـمـــزنُـــوقُ أنِّي أكِــــرُّهُ
عَـشِـيّـةَ فَـيْـفِ الـرّيـحِ كَـــرَّ المُـشَـهَّـرِ

إذا ازْوَرّ مِـــنْ وَقْـــعِ الـرّمـــاحِ زَجَـــرْتُـــهُ
وقُــلــتُ لــه ارجِـــعْ مُـقـبِـلاً غــيرَ مُـدبِـرِ

وَأنـــبَـــأتُـــهُ أَنَّ الـــفِـــرارَ خَـــزايَـــةٌ
عَــلى المَـــرءِ مــا لَمْ يُـبـلِ عُـــذراً فَـيُـعـذَرِ

ألـــســـتَ تَـــرَى أرمـــاحَـــهـــم فيَّ شُرَّعـــاً
وأنـــتَ حِـصـانٌ مــاجِـدُ الـعِـرْقِ فـاصْـبِرِ

أردتُ لــكــيــلاَ يــعــلــمَ الله أنــنِــي
صَـــبَرتُ وأخْـــشَـــى مــثــلَ يــوم المُـشَـقَّـرِ

لَـعَـمــري ومَـــا عَـــمْــري عَـــليَّ بهَـــيِّنٍ
لـقـد شَـــانَ حُـــرَّ الـوجـهِ طـعـنَـةُ مُـسْـهِـرِ

فَـبِـئْـسَ الـفـتـى إنْ كُـنـتُ أعـــوَرَ عــاقِــراً
جَـبَــانــاً فَـمـا عُـــذري لَــدى كــلِّ محْـضَرِ

وقَــــدْ عــلِــمُــوا أنّي أكُــــرّ عَــلَــيْــهِــمِ
عَـشِـيّـةَ فَـيْـفِ الـرِّيــحِ كَــرَّ الْمُــــدَوَّرِ
ومــا رِمْــــتُ حَـتَّـى بَــلَّ صَــدْري وصَــــدْرَهُ
نَـجـيـعٌ كَـــهُــــدّابِ الــدِّمَـــقْـــسِ الْمُـــسَــيَّرِ
فَــلَــو كــــانَ جَمْــعــاً مِـثْـلَـنـا لَمْ يَـبُـزُّنـا
وَلَـــكِـــن أتَــتــنــا أُسـرَةٌ ذاتُ مَـفْـخَـرِ
أتَــونــا بِــشَــهــرانِ الـعَـرِيـضَــةِ كُـلِّـها
وَأكْـــلُـــبَ طُـــرّاً في جِـيــادِ الــسَــنَــوَّرِ(٥١)

ويقول أيضاً:

وأسْــــمَــــرَ خَــطّـــيٍّ وأبْـــيَـــضَ بــاتِــرِ
وزَغْـــــفٍ دِلاصٍ كــالــغَــديــرِ الْمُــثَــوِّبِ
سِــلاحُ امــرِىءٍ قـد يَـعـلَـمُ الـنّـاسُ أنّـهُ
طَــلُــوبٌ لــثــأراتِ الــرّجــالِ مُـطَـلَّــبِ
فــإنّي وإنْ كــنــتُ ابــنَ فـــارِسِ عــامِــرٍ
وفي الـــسرّ مــنــهــا والــصّريـــحِ الْمُــهَــذَّبِ
فَــما سَـــوَّدَتْـــنـــي عـــامِــرٌ وِراثَـــــة
أبَـــى اللهُ أنْ أسْـمُــو بــأُمٍّ ولا أبِ

ولَــكِـــنّـــنــي أحْمــــــي حِمــاهــا وأتّـــقـي
أذاهـــا وأرْمـــــي مَـــنْ رَمَــاهـــا بـمِـقْــنَــب [٥٢]

وفي مفاخرته بنفسه أمام النابغة الذبياني، قال عامر:

ألا مَـــــنْ مُـــبْـــلِـــغٌ عَـــنّـــي زِيــــــاداً
غَـــــداةَ الـــقَـــاعِ إذ أزِفَ الـــــضِّرابُ

غَـــــداةَ تَـــثُـــوبُ خَـــيـــلُ بَـــنـــي كِـــلابٍ
عـــلى لَـــبّـــاتِهـــا عَـــلَـــقٌ يُـــشـــابُ

فــــإن لــــنــــا حــكــومــة كـــل يـــوم
يُـــبَـــيَّـــنُ في مَـــفـــاصِـــلِـــهِ الـــصّـــوابُ

وإني ســــوف أحـــكـــم غـــير عـــاد
ولا قـــذع إذا الـــتـــمـــس الجـــــواب

حُـــكـــومَـــةَ حَـــــــازِمٍ لا عَـــيْـــبَ فيها
إذا مـــا الـــقـــوم كـــظـــهـــم الخـــطـــاب

فــــإنّ مَـــطِـــيّـــةَ الحِـــلْـــمِ الـــتّـــأني
عـــلى مَـــهَـــلٍ ولـــلـــجَـــهْـــلِ الـــشّـــبــابُ

ولـــيـــس الجـــهـــل عـــن ســـن ولـــكـــن
غَـــــدَتْ بـــنَـــوافِـــذِ الـــقـــوْلِ الـــرّكـــابُ

فـــإنّ بَــنــي بَــغــيــضٍ قَــــدْ أتــاهُــمْ
رســــــول الـــنــاصــحـــين فـــما أجـــابـــوا

ولا ردوا محــــــــورة ذاك حـــتـــى
أتـــانـــا الحـــلـــم وانـــخـــرق الحـــجـــاب

فــــإن مــقــالـــتـــي مـــا قـــد عــلــمــتــم
وَخَـــيْـــلـــي قَـــــدْ يَحِـــــلّ لهـــا الـــنّـــهـــابُ

إذا يَـــمّـــمْـــنَ خَـــيْـــلاً مُـــسْرِعـــاتٍ
جـــرَى بـــنُـــحـــوسِ طَـــيرِهـــمُ الـــغُـــرابُ

وإنْ مَـــــرّتْ عـــلى قَـــــوْم أعَـــــادٍ
بـــســـاحـــتـــهـــم فـــقـــد خـــســـروا وخــــابــــوا (٥٣)

مجنون ليلى قيس بن الملوَّح:

هو قيس بن الملوَّح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. وهو ينتمي إلى العصر الأموي، وقد عاشَ في زمن مروان بن الحكم الذي توفي في حدود عام ٦٥هـ، حيث ازدهر الغزل في ذلك العصر، وبرزت فيه أسماء عدد من الشعراء، وقامت مدرستان في هذا النوع من الشعر: الغزل الإباحي المادي الذي تزعّمه عمر بن أبي ربيعة، والغزل العذري البدوي الذي اشتهر فيه جميل بن معمر أو جميل بثينة، وقيس بن الملوّح ، وانتشر النوع الأول في المدن الحجازية، فيما عرفت البوادي

النوع الثاني[٥٤].

لُقِّبَ بالشاعر المجنون، أو مجنون ليلى، وقد تباينت الروايات حول وجود شخصية المجنون، فبينما تثيت وجودها روايات تنفي روايات أخرى وجود شخصية بهذا الإسم، وتعددت أسماء المجانين بليلى، وذلك أمر طبيعي لكثرة العشاق عند العرب ولأن اللواتي حملن اسم ليلى عددهن كبير أيضاً. فقد ورد في (الأغاني): أن الأصمعي سأل أعرابياً من بني عامر عن المجنون العامري، فقال عن أيهم تسألني، فقال عن الذي كان يشبب في ليلى، فقال الأعرابي: كلهم كان يشبب في ليلى[٥٥].

وقع قيس منذ صغره في هوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن ربيعة، عشق كل منهما الآخر وهما بعد صبيان يرعيان المواشي على سفح جبل (التوباد)، واستمرا في عشقهما كذلك حتى كبرا، وصار عشق قيس حديث الناس لما كثر تردده إلى ديارها وتكرر اجتماعه بها، وإنشاده الأشعار فيها، فلما علم أهلها بغرامه وأشعاره منعوه من زيارتها تماشياً مع العادات القبلية، فقد كان العرب، حفاظا على نقاء فتاتهم وعفتها ، يحولون دون لقاء فتاهم مع من يحبها عند اشتهار العشق على الألسنة، ويرفضون الموافقة على زواجها ممن شبّب بها وهام خشية أن يصير ذلك دليلا على قبولهم ستر العار وتغطية لأقوال الوشاة[٥٦].

أغضب موقف أهل ليلى قيسا، ولكن ذلك لم يُثْنِه عن حبه الذي أورثه الأسى والحسرة، واجتمع إليه قومه ولاموه على مواقفه، ولم يفلحوا البتة في إقناعه بالعدول عن حبه والبحث عن امرأة أخرى، ولما منع أبو ليلى ابن الملوح من التردد على الديار ظل يغشى بيوتهم، فشكوه إلى السلطان الذي أهدر دمه، ولكنه مع ذلك لم يجدِ نفعا، ما حمل أهل ليلى على الرحيل[٥٧]، فهام قيس على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيُرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في

الحجاز. ورُوي أن أبا قيس ذهب به إلى الحج لكي يدعو الله أن يشفيه مما ألمّ به من حب ليلى، وقال له: تعلّق بأستار الكعبة وادعُ الله أن يشفيك من حبها، فذهب قيس وتعلق بأستار الكعبة وقال: «اللهم زدني لليلى حبًا وبها كلفًا ولا تنسني ذكرها أبدًا (٥٨)». ولما علم قيس بإكراه أهل ليلى ابنتهم على الزواج من رجل من ثقيف اسمه ورد بن محمد، يئس قيس وزال عقله جملة، ثم هام على وجهه وتوحّش، وترك الناس وأنس برؤية الظباء، وراح أهله بعد مدّة يطلبونه ويتتبعون أثره، حتى وجدوه في واد كثير الحجارة ميتاً، فاحتمله أهله وغسّلوه وكفّنوه ودفنوه، وكان ذلك في حدود عام ٦٥هـ (٥٩).

جاء شعر قيس من نوع الغزل الذي يكتفي بشرح الأشواق وشكوى الفراق، من غير أن يتطرّف بوصف محاسن الحبيب وملذات اللقاء، تمشيا مع عادات مجتمعه الذي تسوده المحافظة على الشرف ومنعة العرض، وتُقدَّس فيه العادات والتقاليد ولو أدت إلى تحطيم الحياة والقلوب (٦٠).

فها هو قيس يتحدث عن نفسه التي تذوب، فيقول:

أحِـــنُّ إلى أرْضِ الْحِـــجَـــازِ وَحَـــاجَـــتـي
خـــيـــام بـــنـــجـــد دونهـــــا الـــطـــرف يـــقـــصر

ومـــا نـــظـــري مـــن نـــحـــو نـــجـــد بـــنـــافـــعـــي
أجَـــــلْ، لاَ، وَلـــكـــنِّـــي عَـــــلَـى ذاكَ أنْـــظُـــرُ

أفي كـــــل يـــــوم عـــــبرة ثـــــم نـــظـــرة
لَـــعَـــيْـــنِـــكَ يجْـــــرِي مَـــــاؤُهَـــــا يَـــتَـــحـــدَّرُ

متى يستريح القلب، إما مجاور
حزين وإما نازح يتذكر
يقولون كم تجري مدامعُ عينهِ
لها الدهر، دمعٌ واكف يتحدر
وليس الذي يجري من العين ماؤها
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ وَتَقْطُرُ(٦١)

ومما قاله عن لوعة الفرقة لديه:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فَهيَّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يَدْرِي
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطارَ بليلى طائراً كانَ في صدرِي
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام في بلد قفر
عرضت على قلبي فقال لي
مِنَ الآنَ فاجْزَعْ لاَ تملّ مِنَ الصَّبْرِ
إذا بانَ من تَهوَى وشَطَّ به النَّوى
فَفُرقَةُ مَنْ تهوى أحرُّ مِنَ الجمر(٦٢)

وقوله كذلك:

ألا أيُّهَـــا الـشَّـيْـخُ الَّـــذِي مَـا بِـنَـا يَـرْضى
شـقـيـت ولا هـنـيـت في عـيـشـك الخـفـضـا

شـقـيـت كـما أشـقـيـتـنـي وتـركـتـنـي
أَهـيـمُ مـع الهُـــلاَّك لا أُطْـعَـمُ الْـغَـمْـضَـا

أمـــا والـــــذي أبـــلى بـلـيـلى بـلـيـتـي
وأصـــفـــى لـلـيـلى مـــن مـــودتي المـحـضـا

لأعـطـيـتُ في لـيـلى الـرضـا مـــن يبيعها
ولـــو أكـــثـروا لـومـي ولـــو أكـــثـروا الـقـرضـا

فـكـم ذاكـــــر لـيـــلى يـعـيـش بـكـربـة
فَـيَـنْـفُـضَ قَـلْـبِـي حـين يَـذْكـرُهَـا نَـفْـضَـا

وحــــقِّ الهـــوى إني أحـــس مـــن الهـــوى
عـــلى كـبـدي نــــاراً وفي أعـظـمي مـرضـا

كـــأنَّ فُـــــؤادِي في مَخَـــالِـــبِ طَـــائِـــرٍ
إذا ذكَـــرتهـــا الـنـفـس شـــدَّت بـه قَـبضـا

كـــأن فـجـاج الأرض حـلـقـة خـاتـم
عـليَّ فـلا تَـــزْدَادُ طُـــولاً ولاَ عَـرْضَـا

وأُغْـشَــى فَيُحمى لي مِـنَ الأَرْضِ مَضْجَعِي

وَأُصْرَعُ أحْـيَـانـاً فَـأَلْـتَـزِمُ الأَرْضَـــــا[٦٣]

ويقر بجنونه في عشق ليلى، فيقول:

مـــا بـــال قـلـبـك يـــا مجـــنـــون قـــد هـلـعـا

في حـــبِّ مــن لا تَـــرى في نَـيْـلِـهِ طَـمَـعَـا

الحـــــبُّ والـــــــودُّ نِـيـطـا بـــالـــفـــؤادِ لهـا

فـأصـبـحَـا في فــــؤادِي ثـــابِـــتَـــيْنِ مَـعـا

طُـــوبَـــى لمـــن أنـــتِ في الـــدنـيـا قـريـنـتُـه

لـقـد نـفـى الله عـنـه الهـــم والجـــزعـــا

بـــل مـــا قــــرأت كـــتـــابـــاً مـــنـــك يبلغني

إلاَّ تـــرقـــرقَ مـــــاءُ الـــعَـــيْن أو دمـعَـا

أدعـــــو إلى هـــجـــرهـــا قـــلـــبي فـيـتـبـعـني

حـــتـــى إذا قـــلـــت هـــــذا صــــادق نـــزعـــا

لا أســتــطــيــع نـــزوعـــاً عـــن مـــودتهـــا

أو يـصـنـع الحـــب بي فـــوق الـــذي صنعا

كَــــمْ مـــن دَنِيٍّ لهـــا قـــد كـــنـــتُ أتـــبَـــعُـــهُ

ولـــو صـحـا الـقـلـب عـنـهـا كـــان لي تبعا

وزادني كَـلَـفـاً في الحـــبِّ أن مُـنِـعَـتْ

أحـــبُّ شيءٍ إلى الإنـــســـان مـــا مُـنِـعـا

إقْــــــرَ الــــســـلامَ عـــلى لِـــيْـــلَى وحــــقَّ لها

مـــنـي الـتـحـيـة إن المـــوت قـــد نـزعـا

أمـــات أم هـــو حـــي في الـــبـــلاد فـقـد

قـلَّ الـعـّـزَاءُ وأبــدَى الـقـلـبُ مـا جَـزِعـا[٦٤]

وفي وصفه الضعف الذي أوصله إليه عشقه يقول:

يـقـولـون لـيْـلى بـــالْـــعِـــرَاقِ مَـريـضـةٌ

فَـــمَا لَـــكَ لا تَـضْـنَـى وأنْــــتَ صَـديـقُ

سـقـى الله مـــرضى بـــالـــعـــراق فـإنـني

عـــلى كـــل مـــرضى بـــالـــعـــراق شـفـيـق

فــإنْ تَـــكُ لَـيْـلَى بـــالْـــعِـــراقِ مَـريـضَـةً

فـــإني في بـــحـــر الحـــتـــوف غـريـق

أهِـيـم بـــأقْـطـــارِ الـــبـــلادِ وعَـــرْضِـهَـا

ومــــالي إلى لـــيـــلى الـــغـــداة طـريـق

كـــأنَّ فُـــــــؤَادِي فِـيـــهِ مُــــورٍ بِـقـــادِحٍ

وفـــيـــه لهـــيـــب ســـاطـــع وبــــروق

إذا ذكـــرَتْهــا الــنــفْـس مَــاتَــتْ صَــبــابَــة ً
لَهَــا زَفْــــرَة ٌ قَــتَّــالَــة ٌ وَشَــهِــيـــقُ
ســبــتــنــي شــمــس يخــجــل الــبــدر نــورهــا
ويــكــســف ضــوء الـــبــرق وهـــو بــروق
غُــرابِــيَّـــة الْــفــرْعَـــيْنِ بَــدرِيَّـــة ُ الــسَــنــا
وَمَـــنــظَــرُهــا بَــــادِي الجَْـــــمَال أَنِــيــقُ
وَقــد صِرْتُ مجَْــنُــونــاً مِـــنَ الحُْـــبِّ هَــائِــماً
كـــأنِّيَ عـــانٍ فِي الـــقُــيُــودِ وَثِــيـــقُ
أظــل رَزيـــحَ الْــعَــقْــل مَــا أُطْــعَــمُ الــكــرَى
ولـــلـــقـــلـــب مـــنـــي أنــــة وخـــفـــوق
بَــرى حُــبُّــهــا جِــسْــمِــي وَقــلــبِــي وَمُــهْــجَــتِــي
فـــلـــم يـــبــق إلا أعـــظـــم وعــــروق
فـــلاَ تـــعْـــذلُـــونِي إنْ هَـــلَـــكْـــتُ تَـــرَحَّمُـــوا
عَـــلِيَّ فَــفَــقْــدُ الــــرُّوحِ لَــيْــسَ يَــعُــوقُ
وخـــطـــوة عـــلى قـــبري إذا مـــت واكـــتـــبـــوا
قَــتِــيــلُ لِحَـــاظٍ مَـــاتَ وَهــــوَ عَــشِــيـــقُ
إلى اللهِّ أَشْــكُــو مَـــا أُلاَقِـــي مِـــنَ الْهَـــوَى
بــلــيــلى فــفــي قــلــبــي جـــوى وحـــريـــق[٦٥]

ويخاطب الغراب الناعب فيقول:

ألا يـا غـراب البـين هيجت لوعتي
فويحك خبّرني بما أنت تصرخ
أبالبين من ليلى ؛ فإن كنت صادقاً
فلا زال عظم من جناحك يفسخ
ولازال رام فيك فوق سهمه
فلا أنت في عشٍّ ولا أنت تفرخ
ولا زلت عن عذب المياه منفّراً
ووكرك مهدوماً وبيضك يرضخ
فإن طرت أردتك الحتوف وإن تقع
تقيض ثعبان بوجهك ينفخ
وعانيت قبل الموت لحمك مشدخا
على حرّ جمر النار يشوى ويطبخ
ولا زلت في شرّ العذاب مخلّداً
وريشك منتوف ولحمك يشرخ (٦٦)

وذات مرة كان بموضع فيه واديان سمي بهما، وكان يجلس بينهما. فخرج يوما يريدهما، فلما صار قريبا من الواديين أنشد يقول:

ألاَ لا أرى وادي المـيـــاهِ يُـثِـيـبُ
ولا الـنـفْـسُ عــنْ وادي المـيـاهِ تَـطِـيـبُ

أحــــب هـــبــوط الــــواديـــين وإنــــني
لمــشـــتــهـــر بـــالــــواديـــين غـــريـــب

أحـــقـــاً عـــبـــاد الله أن لـــســـت وارداً
ولا صــــــــادراً إلا عـــلي رقـــيـــب

ولا زائِـــــراً فـــرداً ولا في جماعَـــةٍ
مـــن الـــنـــاس إلا قـــيـــل أنـــــت مـريـب

وهـــــل ريــبـــة في أن تحـــن نـجـيـبـة
إلى إلْــفــهـــا أو أن يَحِـــــنَّ نَـجـيـبُ

وإنَّ الـكَـثِـيـبَ الـفـرْدَ مِـنْ جـانِـبِ الحِـمى
إلي وإن لم آتـــــــه لحـــبـــيـــب

ولا خـــير في الـــدنـــيـــا إذا أنـــت لم تـــزر
حـبـيـبـاً ولم يَـطْـــرَبْ إلَـــيْـــكَ حَـبـيـبُ

لَـــئِـــن كَـــثُـــرَت رُقـــابُ لَـيـلى فَـطـالمَا
لَهَــــوتُ بِـلَـيـلى مـا لهُــــنَّ رَقـيـبُ

وَإِن حـــالَ يَـــأْسٌ دونَ لَـيـلى فَـرُبَّـما
أَتـــى الـيَـأسُ دونَ الـــشَيءِ وَهـــوَ حَـبـيـبُ

وَمَـنَّـيـتَـنـي حَـتّـى إِذا مـا رَأَيـتِـنـي
عَـلـى شَرَفٍ لِـلـنـاظِـريـنَ يَـريـبُ
صَـدَدتِ وَأَشـمَـتِّ الـعُـداةَ بِهَـجـرِنـا
أَثـابَـكِ فـيـما تَـصـنَـعـينَ مُـثـيـبُ
أُبـعِّـدُ عَـنـكِ الـنَفسَ وَالـنَـفـسُ صَـبَّـةٌ
بِـذِكـرِكِ وَالَمـمـشـى إِلَـيـكِ قَـريـبُ
مَخـافَـةَ أَن تَـسـعـى الـوُشـاةُ بِـظِـنَّـةٍ
وَأَكـرِمُـكُـم أَن يَـسـتَريـبَ مُـريـبُ
فَـقَـد جَـعَـلَـت نَـفسي وَأَنـتِ اِخـتَرَمـتِـهـا
وَكُـنـتِ أَعَـزَّ الـنـاسِ عَـنـكِ تَـطـيـبُ
فَـلَـو شِـئـتِ لَم أَغـضَـب عَـلَـيـكِ وَلَم يَـزَل
لَـكِ الـدَهـرَ مِـنّـي مـا حَـيِـيـتُ نَـصـيـبُ
أَمـا وَالَّـذي يَـتـلـو الـسَرائِـرَ كُـلَّـهـا
وَيَـعـلَـمُ مـا تُـبـدي بِـهِ وَتَـغـيـبُ
لَـقَـد كُـنـتِ مِمَّـن تَـصطَـفي الـنَـفـسُ خُـلَّـةً
لَهَـا دونَ خِـلّانِ الـصَـفـاءِ حُـجـوبُ
وَإِنّي لَأَسـتَـحـيِـيـكِ حَـتّـى كَـأَنَّـما
عَـلَيَّ بِـظَـهـرِ الـغَـيـبِ مِـنـكِ رَقـيـبُ

تَـلَـجّـينَ حَـتّـى يَـذهَــبَ الـيَــأسُ بِـالهَـوى

وَحَـــتّـــى تَــكـــادَ الـنَـفـسُ عَـنــكِ تَـطـيـبُ

سَــأَسـتَـعــطِـفُ الأَيـــــامَ فـيــكِ لَـعَـلَّـهـا

بِـيَـومِ سُروري في هَــــواكِ تَــــؤوبُ[67]

ويحاور بلوعته حَمَامات بطَوْقٍ فيقول:

أجَـــــــدَّكِ يَـــا حَمَــــامــــاتٍ بِــطَــوْقٍ

فــقــد هــيــجــت مــشــغــوفــاً حــزيــنــا

أغــــــرَّكِ يَـــا حَمَــــامــــاتٍ بــطــوْقٍ

بـــأني لا أنــــام وتهــجــعــيــنــا

وأني قـــد بــــراني الحــــب حـتـى

ضــنــيــت ومــــا أراك تــغــيَّريــنــا

أَرَادَ اللهّ مُحــلَــلــكِ في الــسُّــلامَــى

إلى مـــن بـــالحـــنـــين تَــشَــوَّقــيــنــا

ولـــســـت وإن حـــنـــنـت أشـــد وجـــدا

ولـــكــــنـــي أسر وتـــعـــلـــنـــيـــنـــا

وبِي مِـــثْـــلُ الَّــــــذِي بِـــكِ غَــــيْرَ أني

أحــــلُّ عــن الْــعــقَــال وَتَــعــقِـلِـيــنَــا

أمـــــا والله غـــير قـــلى وبـغـض
أُسِرُّ وَلَمْ أزلْ جَـزِعـاً حزينا
لـقـدْ جَـعَـلَـتْ دَوَاوِيــــنُ الْــغَــواني
ســـوى ديـــوان لـــيـلى يـمَّـحـيـنـا
فـقِـدْماً كـنْـتِ أرْجَـــى الـنَّـاسِ عِـنْـدِي
وَأقْـــدَرَهُــمْ عَــلَى مَـا تَـطْـلُـبِـيـنَـا
ألاَ لا تَــنْــسِــيَنْ رَوْعَــاتِ قَـلْـبِـي
وَعِـصْـيَـانِي عَـلَـيْـكِ الـعَـاذِلِـيـنَـا[٦٨]

وعندما حنَّ لموطن قومه في نجد، أنشد يقول:

أحِــنُّ إذا رَأيْـــتُ جِمَـــالَ قَـوْمِـي
وأبــكــي إن ســمــعــت لهـــا حـنـيـنـا
سـقـى الـغـيـث المـجـيـد بـــلاد قـومي
وَإنْ خَـلَـتِ الــدِّيَـارُ وَإنْ بَـلـيـنَـا
عــلى نـجـد وســاكــن أرض نـجـد
تَحــيَّـــاتٌ يَــرُحْــنَ وَيَــغْــتَـدِيــنَــا[٦٩]

هوامش الفصل الخامس:

١. وليم ر.بولك، المعلقة الرابعة للبيد بن ربيعة، ترجمة سامي بدراوي، أبوظبي: المجمع الثقافي، (د.ت)، ص١، ص ٥.

٢. المرجع السابق نفسه، ص٤.

٣. المرجع السابق نفسه، ص٩.

٤. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، ج١، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٤٧.

٥. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق يوسف الصميلي، ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م، ص٧٧.

٦. المرجع السابق نفسه، ج١، ص٢٣.

٧. محمد ألتونجي، شاعرات في عصر النبوة،بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٦٨.

٨. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ص٧٧-٨٠.

٩. عبد الرحمن بن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٨م، ص١٧٨.

١٠. وليم ر.بولك، مرجع سبق ذكره، ص٧.

١١. عبد الرحمن بن عبد الحميد علي، مرجع سبق ذكره، ص١٧٨.

١٢. المرجع السابق نفسه، ص١٧٩.

١٣. المرجع السابق نفسه، ص ص١٨٠-١٨١.

١٤. المرجع السابق نفسه، ص ص١٨١-١٨٢، وانظر كذلك هلال الجهاد، جماليات الشعر العربي: دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧، ص١٥٧.

١٥. السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ص٨٥-٨٦.

١٦. حمدو طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥١، وانظر المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٨٦، وانظر كذلك إحسان عباس، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت: ١٩٦٢م، ص ص٢١٣-٢١٤.

١٧. محمد بن القاسم الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل العامري، تحقيق محمود عبد الله الجادر وعبد الرزاق خليفة محمود الدليمي ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٤.

١٨. إحسان عباس، المرجع السابق نفسه، ص ص١٦٨-١٧٠، وانظر السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٧٨، وانظر كذلك حمدو طماس، المرجع السابق نفسه، ص٥٦.

١٩. إحسان عباس، المرجع السابق نفسه، ص ص١٥٨-١٦٢، وانظر كذلك حمدو طماس، المرجع السابق نفسه، ص٣٤.

٢٠. المرجع السابق نفسه.

٢١. المرجع السابق نفسه.

٢٢. إحسان عباس، المرجع السابق نفسه، ص ص٣-٦، وانظر كذلك حمدو طماس، المرجع السابق نفسه، ص ص١٩-٢٠.

٢٣. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص ص١٩٩-٢٠٠، وانظر كذلك أنس بديوي وآخرون، روائع الشعر الإسلامي، بيروت: دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩، ص٣٢، وكذلك واضح الصمد، ديوان النابغة الجعدي، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٨م، ص ص ٩-١٠.

٢٤. السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٧٧، ص ١٢٧، وانظر كذلك واضح الصمد، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

٢٥. المرجع السابق نفسه، ج٢، ص١٢٨.

٢٦. المرجع السابق نفسه، ج٢، ص١٢٧.

٢٧. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، مرجع سبق ذكره، ج١، ص٣٩، وانظر كذلك السيد أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ٢٠١١م، ص١٢٨.

٢٨. المرجع السابق نفسه، ج٢،ص ص١٥١-١٥٢.

٢٩. المرجع السابق نفسه، ج٢،ص ص١٥٧-١٥٨.

٣٠. المرجع السابق نفسه، ج٢،ص١٥٩.

٣١. واضح الصمد، مرجع سبق ذكره، ص١٢٢.

٣٢. المرجع السابق نفسه، ص ص١٤٧-١٥٠.

٣٣. المرجع السابق نفسه، ص ص١٣٧-١٣٨.

٣٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٩٨-١٠٠.

٣٥. المرجع السابق نفسه، ص ص٢٧-٢٨.

٣٦. المرجع السابق نفسه، ص ص٢٤-٢٧.

٣٧. المرجع السابق نفسه، ص ص٥٣-٥٤.

٣٨. السيد احمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص١٨.

٣٩. محمد بن القاسم الانباري، مرجع سبق ذكره، ص٦٠.

٤٠. المرجع السابق نفسه، ص ص٦-٧.

٤١. المرجع السابق نفسه، ص٦٢.

٤٢. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٤٢-١٤٣.

٤٣. المرجع السابق نفسه، ص٢٠٩.

٤٤. المرجع السابق نفسه، ص ص٨٧-٨٩.

٤٥. المرجع السابق نفسه، ص ١٢٨-١٣٠.

٤٦. المرجع السابق نفسه، ص ص ٩٠-٩٢.

٤٧. المرجع السابق نفسه، ص١١٥.

٤٨. المرجع السابق نفسه، ص ص ١١٩-١٢٢.

٤٩. المرجع السابق نفسه، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

٥٠. المرجع السابق نفسه، ص ص١٢٤-١٢٦.

٥١. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٠٧-١١١.

٥٢. المرجع السابق نفسه، ص١٨٥.

٥٣. المرجع السابق نفسه، ص ص١٣٢-١٣٤.
٥٤. يوسف فرحات، ديوان مجنون ليلى، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٣م، ص٥.
٥٥. المرجع السابق نفسه، ص٥.
٥٦. المرجع السابق نفسه، ص٦.
٥٧. المرجع السابق نفسه، ص٦.
٥٨. المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٣.
٥٩. المرجع السابق نفسه، ص٦.
٦٠. المرجع السابق نفسه، ص ص ٧-٨.
٦١. المرجع السابق نفسه، ص ٨٤.
٦٢. المرجع السابق نفسه، ص ١٠٨.
٦٣. المرجع السابق نفسه، ص ص ١١٩-١٢٠.
٦٤. المرجع السابق نفسه، ص ١٣٧.
٦٥. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٤٣-١٤٤.
٦٦. المرجع السابق نفسه، ص ٥٦.
٦٧. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٩-٢١.
٦٨. المرجع السابق نفسه، ص ص ١٩٧-١٩٨.
٦٩. المرجع السابق نفسه، ص١٩٨.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر وكتب الحديث والمعاجم

١. القرآن الكريم.

٢. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، ١٩٨٦م.

٣. الإمام البخاري، صحيح البخاري، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٤. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣م.

٥. المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم أنيس وآخرون بمجمع اللغة العربية، استانبول: المكتبة الإسلامية، (د.ت).

الكتب والمراجع العربية

٦. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٩م.

٧. أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، كتاب الأنساب، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت).

٨. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

٩. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٣م.

١٠. أبو الفوز محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٩م.

١١. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٢م.

١٢. إحسان عباس، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت: ١٩٦٢م.

١٣. أنس بديوي وآخرون، روائع الشعر الإسلامي، بيروت: دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٤. أيمن سعد النفجان، من أخبار البادية في نجد من ٥٠٠هـ-٨٥٠هـ، الرياض: دار المؤلف للنشر، ٢٠٠٨م.

١٥. جي. إس. بيركس وسالي. آي. ليتس، العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عمان الداخلية، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢م.

١٦. جوينتي مايترا وعفراء الحجي، قصر الحصن: تاريخ حكام أبوظبي ١٧٩٣-١٩٦٦م، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، ط٣، ٢٠٠٤م.

١٧. جوينتي مايترا، زايد من التحدي إلى الاتحاد، أبوظبي: مركز الوثائق و البحوث، ٢٠٠٧م.

١٨. جي. بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (د. ت).

١٩. حمد بن إبراهيم بن عبدالله الحقيل، كنز الأنساب ومجمع الآداب، الرياض: الدار الوطنية السعودية، ط٢٠٠١،١٤م.

٢٠. حمدو طماس، ديوان لبيد بن ربيعة، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٤م.

٢١. حمدي تمام، زايد بن سلطان القائد والمسيرة، ط٢، ١٩٨١م.

٢٢. خالد النزر، آل عصفور: أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين عاماً، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٣. راشد عبدالله النعيمي، زايـــد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار كتّاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٢م.

٢٤. سالم بن حم، رحلتي مع زايد..حديث الذاكرة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥. سالم بن حمود السيابي، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المكتب الإسلامي، (د.ت).

٢٦. سليم زبال، كنت شاهداً.. رحلة العبور من مشيخات متناثرة إلى دولة اتحادية متماسكة، أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١م.

٢٧. سليمان الغنام، فصول من تاريخ الجزيرة العربية وجوارها الإقليمي (منذ أقدم العصور التاريخية حتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٨. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م.

٢٩. شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة..دراسة في الجغرافية الاجتماعية، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م.

٣٠. شمسة حمد الظاهري، أبوظبي.. دراسات في التاريخ الاجتماعي ١٨٢٢-١٩٧١م، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٤م.

٣١. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات.. الشام، القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٩٥م.

٣٢. شيخة الغاوي، زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن، أبوظبي: وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ط١، ٢٠١٢م.

٣٣. عارف مرضي الفتح، الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز من ١-١٣٨٥ه/ ٦٢٢-١٩٦٥م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٤. عبد الرحمن بن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، القاهرة: دار الكتاب

الحديث، ٢٠٠٨م.

٣٥. عبد العزيز مطر، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، القاهرة : دار الكاتب العربي، ١٩٨١م.

٣٦. عبدالله بن صالح المطوع، الجواهر واللآلِيء في تاريخ عمان الشمالي، تحقيق فالح حنظل، دبي: مطبوعات جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١، ١٩٩٤م.

٣٧. عبدالله الجوراني، دراسة وثائقية في تاريخ المنتفك الوطني: أحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أواخر العهد العثماني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٨. علاء الدين المدرس، النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، القاهرة: دار الكتاب العربي،ط٤، ٢٠٠٦م.

٣٩. علاء نورس، سالم بن حم: ذاكرة تاريخ.. وتجربة حياة، (د. ن)، ط١، ٢٠٠٩م.

٤٠. علي بن شداد آل ناصر، الذخيرة في مشجرات وأنساب قبائل الجزيرة، الدوحة: المؤلف، ط١، ٢٠٠٤م.

٤١. علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي، المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١م.

٤٢. علي محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١١م.

٤٣. عمار السنجري، ذاكرة الصحراء، دار البارودي، (د. ت).

٤٤. عوض العرشاني، حياة زايد: الفارس الذي قهر الصحراء، أبوظبي: دار الفجر، ط١، ١٩٨٠م.

٤٥. فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى الإسلامية ١هـ - ٩٠٦هـ/ ٦٢٢م - ١٥٠٠م، بغداد: دار واسط، ١٩٨٥م.

٤٦. فاروق عمر، الخليج العربي في العصور الإسلامية: دراسة في التاريخ السياسي ١ه-٦٥٦ه/ ٦٢٢م-١٢٥٨م، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٣م.

٤٧. فاطمة الصايغ، الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة، العين: دار الكتاب الجامعي،ط١، ٢٠٠٠م.

٤٨. فراوكة هيرد- باي، من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي: مجموعة موتيفيت للنشر، ٢٠٠٧م.

٤٩. قصائد من الماضي، من أشعار بن حم التراثية، جمع القصائد حفيد الشاعر سالم بن محمد بن حم، العين، (د. ت).

٥٠. كارلو كلاوديو جوارماني، نجد الشمالي: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في عام ١٨٦٤م، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث-المجمع الثقافي، ط١، ٢٠٠٩م.

٥١. مانع سعيد العتيبة، اقتصاديات أبوظبي قديما وحديثا، (د. ن)، ط١، ١٩٧١م.

٥٢. محمد أحمد عبد المولى، بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم (٤١٥-٤٧٢هـ/ ١٠٢٥-١٠٨٠م)، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

٥٣. محمد بن القاسم الأنباري، ديوان عامر بن الطفيل العامري، تحقيق محمود عبد الله الجادر وعبد الرزاق خليفة محمود الدليمي ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»، ط١، ٢٠٠١م.

٥٤. محمد ألتُّونجي، شاعرا ت في عصر النبوة، بيروت: دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م.

٥٥. محمد حسن العيدروس، دولة الإمارات العربية المتحدة: من الاستعمار إلى الاستقلال، الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٩م.

٥٦. محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥م، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٤م.

٥٧. محمد سعيد، النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام: دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف، بيروت: دار الساقي، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٨. محمد سليمان الطيب، قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة: عن أنسابها وفروعها وديارها وأعلامها، المملكة العربية السعودية، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٩. محمد سليمان الطيب، قبائل سلطنة عمان: عن أنسابها وفروعها وديارها وأعلامها، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٠. محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م.

٦١. محمد فارس الفارس، رحالة وسياسيون زاروا الإمارات والخليج قبل النفط، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢م.

٦٢. محمد متولي شعراوي، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د. ت).

٦٣. محمد محمود خليل، عرب البحرين.. تاريخ الدويلات المحلية لبني عقيل في الخليج وشرق الجزيرة العربية، تقديم ومراجعة سيدة إسماعيل كاشف، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٤. مداد بن سعيد بن حمد الهنائي، التاريخ والبيان في أنساب قبائل عمان، لندن: دار الحكمة، ط١، ٢٠٠٩م.

٦٥. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بقوة الاتحاد: صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان القائد والدولة، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط٢، ٢٠٠٥م.

٦٦. نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مصر: مكتبة الامام، (د. ت).

٦٧. هلال الجهاد، جماليات الشعر العربي: دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٨. واضح الصمد، ديوان النابغة الجعدي، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٨م.

٦٩. وليم ر.بولك، المعلقة الرابعة للبيد بن ربيعة، ترجمة سامي بدراوي، أبوظبي: المجمع الثقافي، (د.ت).

٧٠. ويلفرد ثيسجر، الرمال العربية، دبي: موتيفيت للنشر، ط٨، ٢٠١٠م.

٧١. يوسف فرحات، ديوان مجنون ليلى، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٣م.

الدوريات

٧٢. مجلة التاريخ العربي، عدد١٩، صيف ٢٠٠١م، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة.

٧٣. مجلة تراث، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، عدد٣، فبراير ١٩٩٩م.

٧٤. مجلة الدارة، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، عدد٤، سنة٧، رجب ١٤٠٢ه، مايو ١٩٨٢م.

٧٥. مجلة شؤون اجتماعية، عدد٤٣، ١٩٩٤م.

٧٦. مجلة ليوا، أبوظبي: مركز الوثائق والبحوث، عدد١، يناير ٢٠٠٤م. وعدد١٣، يناير ٢٠٠٥م.

٧٧. مجلة ناشونال جيوغرافيك العربية، مج٨، عدد٣١، إبريل ٢٠١٣م.

٧٨. مجلة الوثيقة، المنامة: مركز الوثائق التاريخية، عدد٣ ، سنة٢، يوليو ١٩٨٣م.

الصحف

٧٩. جريدة الإمارات اليوم.

٨٠. جريدة الاتحاد.

٨١. جريدة البيان.

٨٢. جريدة الخليج.

٨٣. جريدة ذا ناشونال.

مصادر الإنترنت (الشبكة العنكبوتية)

٨٤. الموقع الرسمي لديوان ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية www.erd.ae.

٨٥. موقع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم http://www.sheikhmohammed.com.

الرقم الدولي: ISBN 978-9948-20-321-6
طبع في دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م